

شرح بُرْدَةِ المَدِيحِ

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِرَانِ بِذِي سَلَمٍ

مَزَجَتْ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمٍ^(١)

أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تَلْقَاءِ كَاظِمَةٍ

وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظَّلْمَاءِ مِنْ إِضْمٍ^(٢)

(١) قوله « أَمِنْ تَذَكُّرِ الْإِنْخِ » الهمزة للاستفهام ، و « مِنْ » للتعليل ، والمراد بالجيران : المحبوبون ، والمراد بِذِي سَلَمٍ موضع بين مكة والمدينة ، والمنج : الخلط ، وكنى بمزج الدمع بالدم عن كثرة البكاء . والدمع : ماء يصعد إلى الدماغ فيسيل من مجرى العيون بسبب شدة الحرارة الغريزية عند حادث سرور أو حزن ، ويكون باردًا للسرور ، وساخنًا للحزن . والجري : السيلان بشدة ، والمقلة : شحمة العين التي تجمع السواد والبياض ، والدم : أحد الأمشاج الأربعة التي خُلِقَ منها الإنسان : الماء والهواء والتراب والنار . وفي هذا البيت براعة استهلال ؛ لأن فيه إشارة إلى أن هذه القصيدة في مدح النبي ﷺ ، حيث ذكر فيه المواضع التي بقرب المدينة الشريفة .

(٢) قوله « أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ الْإِنْخِ » ، أم : حرف عطف يُطلب بها وبالهمزة التعيين ، وواو العطف إما على حقيقتها ، أو بمعنى « أو » ، وأما هبوب الريح من جهة كاظمة فلأن الحب دائمًا يفكر في محاسن محبوبه ، فإذا هبت الريح من جهة موضعه ، تخيل أنها حملت روائحه إليه ، وأما إيماض البرق من إضم ؛ فلأن من عادة المحبين أن يرتاحوا للبرق إذا لمع من جهة ديار الأعبة . وهبوب الريح : هيجانها ، و « تَلْقَاءِ » بمعنى حذاء ، وكاظمة (قال في القاموس : هي ريح تقابل الصُّبا) ، وقيل اسم موضع ، والإيماض : اللمعان الخفيف ، والظلماء : صفة لموصوف محذوف والتقدير في الليلة الظلماء ، وإضم : اسم لجبل ، وقيل اسم لوادٍ بقرب المدينة الشريفة .

فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ أَكْفُفَا هَمَّتَا

(٣) وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهُم

أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أَنَّ الْحُبَّ مُنْكَتِمٌ

(٤) مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرِمٍ

لَوْلَا الْهُوَى لَمْ تُرَقْ دَمْعًا عَلَى طَلَلٍ

(٥) وَلَا أَرَقْتَ لِذِكْرِ الْبَانِ وَالْعَلَمِ

(٣٣) أي إذا صدقت في إنكارك الحب فأَي شيء ثبت لعينيك أوجب لهما أنك إن قلت لهما أكففا همتا؟ وأي شيء ثبت لقلبك أوجب له أنك إن قلت له استفق يهم؟! و « ما » في الموضعين اسم استفهام، ومعنى **أكففا**: أمسكا عن البكاء، و « همتا » بمعنى سالتا، أي همتا دمعًا، و**القلب**: لحم على شكل الصنوبر، وقال بعضهم: القلب سرّ وضعه الله في هذه اللحم فتسميتها قلبًا لحلوله فيها. **استفّق**: أفق. « يَهُم » مضارع هام يهيم إذا قام به الهيام وهو داء كالجنون ينشأ من العشق. (٤) **الهمزة** للاستفهام الإنكاري، و**يَحْسَبُ**: يكسر السين وفتحها أي يظن، و**الصَّب**: العاشق من قولهم صبّ الماء لأنه لما كان كثير البكاء فكأنه يصب الدمع، وقال بعضهم من « الصبابة » وهي رقة العشق وحرارته. و « ما » اسم موصول بمعنى الذي، و**المنسجم**: السائل، و**المضطرم**: المشتعل. **والمعنى**: لا يظن العاشق أن الحب مستتر عن الناس الذي هو بين دمع سائل وقلب مشتعل من نار الحب، وكل منهما من آثار الحب مع كونهما ظاهرين، وحينئذ فإنكار الحب **غلط**. (٥) **الهُوَى**: مصدر هَوَى بكسر الواو: إذا أحب، فهو بمعنى الحب، و « لَوْلَا » حرف يدل على امتناع الجواب لوجود الشرط. وقوله **لم ترَقْ دمعًا** أي لم تصبه، و**الطلل**: ما بقي من آثار الدار مرتفعًا، و « **علي** » الداخلة عليه للتعليل أي لأجل طلل، و**أَرَقْتَ** بكسر الراء: بمعنى سهرت، و**البان**: شجر طيب الريح، و**العلم**: يُطلق على معانٍ منها الجبل والرمح، =

ولا أعارتك لَوْنِي عَبْرَةً وَضَنِي

ذَكَرَ الْخِيَامِ وَذَكَرَى سَاكِنِي الْخِيَمِ (٦)
فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبًّا بَعْدَ مَا شَهِدْتَ

بِهِ عَلَيْكَ عُدُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ (٧)
وَأَثَبْتَ الْوَجْدُ خَطِيءِي عَبْرَةً وَضَنِي

مِثْلَ الْبَهَارِ عَلَى خَدَّيْكَ وَالْعَنَمِ (٨)

= أي ولا سهرت لذكر البان والعلم الكائنين بمحل المحبوب ، ويحتمل أنه شبه المحبوب بهما في طيب الرائحة وحسن الهيئة وطول القامة .

(٦) **أعارتك** : أعطتك على سبيل العارية ، **لَوْنِي عَبْرَةً وَضَنِي** : والمراد باللونين هنا النوعان ، **والعبرة** بفتح العين : الدموع ، **والضني** : المرض ، وقوله **ذكر** : أي تذكر ، وكل من **الخيام** **والخيم** جمع خيمة وهي بيت تتخذ العرب من عيدان الشجر .

(٧) و **« كيف »** حال مقدّمة مضمّنة معنى الاستفهام على وجه الإنكار ، ومعنى **تنكر** : تجحد ، والجحد هو النفي بعد العلم بخلافه قبله ، **والعدول** جمع عدل : من لا تُردّ شهادته ، **والدمع** هو الماء الجاري من العين . **والسقم** بفتح الحاء : المرض ، وإنما ذكر كونهم عدولا للإشارة إلى أنه لا يمكن المخاطب ردّ شهادتهم .

(٨) **الوجد** : هو الحزن بسبب الحب ، وقيل : نيران أشواق تنشرها رياح المحبة عند سماع ذكر المحبوب . وقوله **خطيئ عبرة** بفتح العين : أي خطيئ من الدموع ، وقوله **« وضني »** : عطف على خطيئ عبرة لكن على تقدير مضاف ، وقوله **« مثل البهار إلخ »** صفة لكل من خطيئ العبرة والضني ؛ لأن البهار بفتح الباء الموحدة وردّ أصفر ، وأثر الضني صفرة الوجه ، فأثر الضني مثل البهار في الصفرة . و **« العنم »** بفتح العين والنون : شجر له أغصان حمراء ، وقيل وردّ أحمر ، والخطان من العبرة أحمران لا متراج الدم بالدمع ، فالخطان من العبرة مثل العنم =

نَعَمْ سَرَى طَيْفٌ مِّنْ أَهْوَى فَأَرْقَنِي
 وَالْحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذَاتِ بِالْأَلَمِ ^(٩)
 يَا لَائِمِي فِي الْهَوَى الْعُذْرِيَّ مَعْدِرَةً
 مِنِّي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتُ لَمْ تَلُمِ ^(١٠)
 عَدَّتْكَ حَالِي لَا سِرِّي بِمُسْتَتِرٍ
 عَنِ الْوُشَاةِ وَلَا دَائِي بِمُنْحَسِمِ ^(١١)

= في الحمرة . والمعنى : وكيف تنكر حباً بعد ما أثبت الوجدُ على خديك علامتين
 ظاهرتين على الحب ، فكل من رأى يعرف الحب في وجهك ؟
 (٩) لما اتضح حال المسئول مما هو عليه من الحب ولم يبق له سبيل إلى
 الإنكار أقر واعترف بذلك ، و « نعم » حرف إيجاب لما سبق ، « سرى
 إلى » أي سار إلى ليلاً لأن السرى هو السير ليلاً . وقوله **طيف من
 أهوى** : أي خيال من أحب ، و « أهوى » مضارع هوى بكسر الواو
 بمعنى أحب بخلاف هوى يفتح الواو فإنه بمعنى سقط ، وقوله
 « **والحب يعترض اللذات بالألم** » أي يدفعها بالألم ، يقال اعترضه
 بالسهم إذا دفعه به ، والمراد باللذات ما كان فيه من النوم والتسلي عن
 المحبوبين ، وبالألم ما ينشأ عن الحب من شدة الوجد .
 (١٠) « **الهوى العذري** » أي الهوى المنسوب إلى بني عذرة بضم العين ، وهم
 قبيلة مشهورة باليمن ، يؤدي بهم العشق إلى الموت لصدقهم في الحب
 ورقة قلوبهم ، وقوله **معدرة** : أي اعتذر معدرة أو أقدم معدرة ، وقوله
 « **لو أنصفت لم تلُم** » أي لأن الحب ليس اختيارياً حتى يلام عليه ، بل
 هو قهري ولا يلام إلا على الأمر الاختياري ، كما قال القائل :
 دع عنك تعنفي ، وذق طعم الهوى فإذا عشقت ، فبعد ذلك عَنَفِ
 (١١) **عدتك حالي** إلخ : أي جاوزتك حالي ، كما يقول الشخص لغيره : لا أراك الله
 حالي ، ويحتمل أيضاً أنها خبرية ، وعليه فالمراد الإخبار بأنه جاوزته حاله . =

مَحَضَّتَنِي النَّصِيحَ ، لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ

(١٢) إِنَّ الْمَحِبَّ عَنِ الْعُدَالِ فِي صَمِّ

إِنِّي أَتَهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَدَلٍ

(١٣) وَالشَّيْبُ أَبْعَدُ فِي نَصِيحٍ عَنِ التُّهْمِ

= وقوله : « لا سرى بمستر عن الوشاة » : السر : ما يكتمه الشخص عن غيره ، والوشاة : جمع واش ، وهو الذي يشي الحديث بين المحب والمحبوب ، أي يزيته ويزخرفه لأجل الإفساد بينهما . قوله : « ولا دائي بمنحسم » : أي ولا دائي الحاصل بسبب الحب يمتقطع بوصل المحبوب وموانسته .

(١٢) « محضتي النصيح » إلخ أي : أخلصت لي النصيح ، وقوله : « لكن لست أسمع » المنفي إنما هو سماع القبول ، وإلا فقد يسمعه ، وقوله : « إن المحب » إلخ تعليل لقوله لكن لست أسمع ، وقوله : « عن العدال » أي عن نصيحهم ، والعدال جمع عاذل ، وهو اللائم في الحب ، والصمم : ضعف في قوة السمع ، فوق الوقور (قال في القاموس المحيط : الوقور - بفتح الواو وسكون القاف - ثقل في الأذن ، أو ذهاب السمع كله) ، ودون الطرش ، ودون الصنج (بفتح الصاد والنون : ذهاب حاسة السمع) ، ولذلك قال الثعالبي : « يقال في أذنه وقور ، فإن زاد فهو صمم ، فإن زاد فهو طرش ، فإن زاد حتى لا يسمع الرعد فهو صنج » .

(١٣) فكان السائل قال له : كيف تتهمني في العدل ؟ فقال له : إنني اتهمت إلخ ، أي فإذا اتهمت نصيح الشيب في عدله على في الهوى ، والحال أن الشيب أبعد عن التهم في النصيح ، فكيف بالعاذل الذي ليس أبعد عن التهم في النصيح ، بل من شأنه أن يتهم فيه ؟ « نصيح الشيب » أي شيئاً ناصحاً ، وإنما كان الشيب ناصحاً ؛ لأنه يدل على قرب الأجل وحصول الموت الموجب لترك دواعي الشباب واشتغال العبد بما يقربه لمولاه زلفى . وقوله : « في عدل » متعلق باتهمت أي اتهمته في لومه على في الهوى ودواعي الشباب ، وقوله : « والشيب أبعد في نصيح عن التهم » : أي والحال أن الشيب أبعد عن التهم في النصيح .

فَإِنَّ أَمَارَتِي بِالسُّوءِ مَا اتَّعَظْتُ

(١٤) مِنْ جَهْلَهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ

وَلَا أَعَدْتُ مِنَ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ قَرَى

(١٥) ضَيْفٍ أَمْ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمٍ

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّي مَا أَوْقَرُهُ

(١٦) كَتَمْتُ سِرًّا بَدَأَ لِي مِنْهُ بِالْكَتَمِ

(١٤) هذا البيت تعليل للبيت قبله . والأَمارة من أنواع النفس ، وهي التي تأمر بالمخالفة ، فلا يلوح لها طمع إلا فعلته ، ولا برزت لها شهوة إلا قضتها ، ومنها اللوامة : وهي التي ترجع باللوم على صاحبها كثيراً عند الوقوع في المعصية لسابقة القضاء ، ومنها المطمئنة : وهي التي اطمأنت للإيمان وللتصديق بوعد الله ، فهي دائماً موفقة للطاعة ، مصدقة بلقاء الله تعالى .
السوء : القبيح . وقوله : « ما اتعظت » خبر إن ، أي ما قبلت الوعظ ، وقوله : « من جهلها » أي من أجل جهلها ، ونذير : إما بمعنى الإنذار فيكون مصدراً ، أو بمعنى المنذر ، فيكون اسم فاعل .

(١٥) قوله « ولا أعدت » إلخ أي نفسه الأمارة ، والإعداد : التهيئة ، وقوله : « من الفعل الجميل » أي من الأعمال الصالحة . وقرى الضيف بكسر القاف : إكرامه ؛ لأنه شبه الشيب بالضيف ، في طروءه على الشخص بعد أن لم يكن . وقوله ألم بتشديد الميم : بمعنى نزل ، وقوله برأسي : أي في رأسي ، فالباء بمعنى في ، وقوله غير محتشم : أي غير مستحي ، فالشيب إذا نزل لا يرتحل إلا بالموت .
(١٦) أعلم : العلم والمعرفة بمعنى واحد ، وقوله : « أنى ما أوقره » : أي أنى ما أعظمه بفعل الجميل وترك القبيح ، وقوله : « كتمت سرّاً » أي أخفيته ، والمراد بالسر الشيب الذي يظهر أولاً ، وقوله : « بدا لي » أي ظهر لي ، وقوله منه : أي من الشيب ، والكتم : بفتح التاء نبت يُخلط بالحناء ويخضّب به =

مَنْ لِي بِرَدِّ جِمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهَا

(١٧) كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ الْخَيْلِ بِاللِّجَمِ

فَلَا تُرْمُ بِالْمَعَاصِي كَسَرُ شَهْوَتِهَا

(١٨) إِنَّ الطَّعَامَ يُقَوِّي شَهْوَةَ السَّهَمِ

وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تَهْمَلَهُ شَبَّ عَلَى

(١٩) حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَقَطَّمَهُ يَنْقَطِمُ

= الشعر فيبقى لونه . وفي هذا البيت تنبيه على توقير الشيب وقد سمّاه الله تعالى وقارا ، فقد روي أن أول من رأى الشيب إبراهيم ، على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، فقال : ما هذا يا رب ؟ فقال الله تعالى : وقار يا إبراهيم ، فقال : يا رب زدني وقارا ، فأصبح وقد عمّه الشيب « ، وفي الحديث القدسي : « الشيب نوري » (في كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلوني : « عن أنس ، رفعه : يقول الله عز وجل : « الشيب نوري والنار خلقي ، وأنا أستحي أن أعذب نوري بناري » .

(١٧) « من لي » إلخ أي : من يتكفل لي إلخ ؟ . وقوله : « برد جِمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهَا » أي بصرف قوّة وغلبة ناشئة من ضلالتها ، فالجِمَاح بمعنى القوّة والغلبة ، والمراد برده صرفه ، و« غَوَايَتِهَا » بفتح الغين المعجمة : بمعنى ضلالتها ، أي جِمَاح ناشئ من غَوَايَتِهَا ، وقوله : « كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ الْخَيْلِ بِاللِّجَمِ » جمع لجام ، أي ردّ مثل ردّ جِمَاح الخيل باللجم في القوّة والعنف .

(١٨) « فَلَا تُرْمُ بِالْمَعَاصِي ... » : أي لا ترجو ولا تتوقع بتمكينها مما تتمناه من المعاصي دفع شهوتها . شهوة النهم : بتشديد النون وكسر الهاء ، الذي هو شديد الشهوة إلى الطعام ، فتمكينه منه يزيد في شهوته إليه ، وكذلك النفس تمكينها من المعاصي يزيد في شهوتها إليها .

(١٩) كَالطِّفْلِ : شبه النفس بالطفل ، فكما أن الطفل إن تركته على ما ألفه من الرضاع دام على حبه ، وإن منعه عنه امتنع ، كما ذكره بقوله : « إِنْ تَهْمَلَهُ » ، إلخ ، كذلك النفس إن تركتها على ما ألفته من المعاصي =

فَاصْرِفْ هَوَاهَا وَحَازِرْ أَنْ تُؤَلِّيَهُ

إِنَّ الْهَوَىٰ مَا تَوَلَّى يَتَّبِعِ أَوْ يَصِمِ (٢٠)

وَرَاعِهَا وَهِيَ فِي الْأَعْمَالِ سَائِمَةٌ

وَإِنْ هِيَ اسْتَحَلَّتِ الْمَرْعَى فَلَا تَسِمِ (٢١)

= دامت على حبه ، وإن منعته عنها امتنعت . وقوله : « **شب على** » أي كبر ، وقوله : « **وإن تفطمه** » فطمت المرأة الرضيع فطماً من باب ضرب : فصلته عن الرضاع ، فهي فاطمة ، والرضيع فطيم .
(٢٠) قوله « **فاصرف هواها** » فاصرف النفس عن هواها ، وقوله : « **وحاذر أن توليه** » أي واحذر أن تعطي هواها الولاية والإمارة عليك ، وقوله : « **ما تولى** » أي ما صار والياً ، « **ما** » شرطية ، وقوله : « **أو يصم** » بفتح الباء وكسر الصاد من وصمه إذا عابه ، فالمعنى أن الهوى إن ولاه الشخص يقتله أو يعيبه . ولما كان الهوى سبباً للهلاك أجمع على ذمه العارفون ، ووردت بذمه الآيات والأحاديث ، وقال ابن عباس « الهوى إله يُعبد من دون الله » وتلا قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ [الجاثية: ٢٣] .
(٢١) « **وراعها وهي** » إلخ أي لاحظها . سائمة : أي كالبهيمة السائمة في الكلاء ، **الأعمال** : الأعمال الصالحة ، **سائمة** : بمعنى آخذة ومشتغلة .
« **وإن هي استحلت المرعى فلا تسم** » بضم التاء وكسر السين ، أي وإن هي وجدت المرعى حلواً فلا تبقها فيه ؛ لأنها لا تميل إلى الطاعة لذاتها ، بل لغرض فيها ، فتقلب الطاعة معصية ، بل قد تكون أعظم مفسدة من المعصية ، كما يشير لذلك قول صاحب الحكم (هو أحمد بن عبد الكريم ابن عطاء الله السكندري - رضي الله عنه - من أعلام متصوفي القرن السابع الهجري توفي عام ٧٠٩ هـ - ١٣٠٩ م) : « **رُبَّ معصية أورثت ذلاً وانكساراً خيراً من طاعة أورثت عزاً واستكباراً** » .

- كَمْ حَسَنَتْ لَذَّةَ لِلْمَرْءِ قَاتِلَةً
 (٢٢) مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ
 وَاخْشَ الدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شَبَعٍ
 (٢٣) فَرُبَّ تَحْمَصَةٍ شَرٌّ مِّنَ التَّخَمِ
 وَاسْتَفْرِغِ الدَّمَعَ مِّنْ عَيْنٍ قَدْ اِمْتَلَأَتْ
 (٢٤) مِّنَ الْمَحَارِمِ وَالزَّمَ حِمِيَةَ النَّدَمِ

(٢٢) « كم » خبرية بمعنى كثيراً ، والتقدير كم مرة ، أي كثيراً من المرات ، وقوله : « حَسَنَتْ لَذَّةَ لِلْمَرْءِ قَاتِلَةً » أي عَدَّتْ لَذَّةَ قَاتِلَةٍ حَسَنَةً ، لِلْمَرْءِ : للشخص رجلاً كان أو امرأة ، وقد بَيَّن وجه كون اللذة قاتلة بقوله « من حيث لم يدرك أن السم في الدسم » ، الدسم : هو الدهن ، وخص السم بالذكر لأنه قاتل ، وخص الدسم بالذكر لأنه يعلو الأشياء فيستر ما تحته ، والمراد بالسم هنا حظ النفس ، والمراد بالدسم هنا الطاعة .
 (٢٣) أي خَفِ المكائد التي تخفيها النفس في الجوع والشبع ؛ فَالدَّسَائِسُ مِنَ الْجُوعِ : كالحلَّة وسوء الخلق ، والدَّسَائِسُ مِنَ الشَّيْءِ كالكسل عن العبادة . « فَرُبَّ تَحْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ التَّخَمِ » إذ رُبَّ مَجَاعَةٍ مَفْرُطَةٍ شَرٌّ مِنْ كَثْرَةِ الْأَكْلِ ؛ فالعبادة قد لا تحصل بالكلية مع الجوع المفرط ، وتحصل مع كثرة الأكل ، وإن كان فيها كسل ، و « رُبَّ » هنا للتقليل ، والمخمصة : المجاعة ، والتخم : بضم التاء وفتح الخاء جمع تخمة : وهي فساد المعدة بالطعام .
 (٢٤) قوله « واستفْرِغِ الدَّمَعَ إلخ » أي أَفْرِغِ الدَّمَعَ بالبكاء . وامتلاء العين من المحارم : كناية - عند الفقهاء - عن كثرة النظر بها لما لا يجوز شرعاً ، وعند الصوفية وأهل الحب : رؤية الأغيار بها . وكان عليه الصلاة والسلام كثير البكاء . وقوله : « والزَّمِ حِمِيَةَ النَّدَمِ » أي والزَّمِ حِمَاةَ النَّدَمِ لك عن المحارم ، والمراد من الندم التوبة المستكملة للشروط الشرعية ، وإنما عبّر بالندم لأنه =

وخالِفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِيهِمَا

(٢٥) وَإِنْ هُمَا مَحْضَاكَ النَّصْحَ فَاتَّهِمِ

وَلَا تُطِيعْ مِنْهُمَا خَصْماً وَلَا حَكْماً

(٢٦) فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخَصْمِ وَالْحَكَمِ

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ قَوْلٍ بَلَا عَمَلٍ

(٢٧) لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلاً لِذِي عَقْمٍ

= العمدة في التوبة ، ولذلك ورد : « الندم توبة » قال رسول الله ﷺ :
« الندم توبة » ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له .

(٢٥) أي إذا أمرتك نفسك والشيطان بشيء ، أو نهتك نفسك والشيطان عن شيء ، فخالفهما لأنهما عدواك ، وإنما قدم النفس على الشيطان لأنها أضرب منه ، وفتنتها أعظم من فتنته . وقوله : « **وإن هما محضاك النصح فاتهم** » أي وإن هما أخلصا لك النصح فيما أبدياه لك ، كأن يقولوا لك : تمتع بهذه الشهوة لكي تتوجه إلى الطاعة فارغ القلب ، أو يقولوا لك : ارفق على نفسك في العبادة لتدوم عليها ، أو أكثر من العبادة لتفوز بالدرجات العلى ، أو نحو ذلك ، فاتهمهما بأن تنسبهما إلى الخيانة وعدم الإخلاص .

(٢٦) معنى البيت أنه إذا تخاصم العقل مع النفس ، وجعل الشيطان حكماً ، أو تخاصم العقل مع الشيطان ، وجعل النفس حكماً ، فلا تطع واحداً من النفس والشيطان ، لا الخصم ولا الحكم . **والخصم** هنا قد يكون النفس ، والحكم الشيطان ، وبالعكس . وقوله : « **فأنت تعرف كيد الخصم والحكم** » أي لأنك تعرف كيد الخصم والحكم من الناس ، وكيد النفس والشيطان أشد .

(٢٧) قوله : « **أستغفر الله إلخ** » لما كان المصنف معترفاً بأنه غير عامل بقوله ، وقد قال تعالى : ﴿ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف:٣] استغفر من ذلك . وقوله : « **لقد نسبت به نسلًا لذي عقم** » ،

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ ، لَكِنْ مَا اتَّعَمَرْتُ بِهِ

(٢٨) وما استقممتُ فما قولي لك استقم

وَلَا تَزَوَّدْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ نَافِلَةً

(٢٩) وَلَمْ أَصِلْ سِوَى فَرَضٍ وَلَمْ أَصِمْ

ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظَّلَامَ إِلَى

(٣٠) أَنْ اِشْتَكَّ قَدَمَاهُ الضَّرْمَ مِنْ وَرَمٍ

= أي لقد نسبتُ بهذا القول نسلًا ، وهو الذرية ، لشخصٍ صاحب عقم ، بضم القاف ، وهو الذي لا يولد لمثله .

(٢٨) قوله : « أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ الْخَيْرُ » ومراده بالأمر ما يشمل النهي . والخير : ما له عاقبة محمودة . وقوله « لَكِنْ مَا اتَّعَمَرْتُ بِهِ » أي لكن ما عملت به . وقوله : « وما استقممت » أي بفعل المأمورات وترك المنهيات . وقوله : « فَمَا قَوْلِي لَكَ اسْتَقِم » أي فما ثمرة قولي لك استقم حيث لم استقم ؟ والاستفهام إنكاري بمعنى النفي ، أي لا ثمرة له ولا فائدة له .

(٢٩) المراد بالتزود هنا العمل ، وإنما عبر بالتزود نظرًا لكون الموت سفرًا طويلًا محتويًا على الأهوال والمشاق ، والسفر المذكور يناسبه التزود ، قال تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ [البقرة: ١٩٧] ، وقوله : « نَافِلَةٌ » أي مستقلة عن الغرض ، وقد اشتهر أن النافلة يُجبر بها ما نقص من الفرائض . وقوله : « وَلَمْ أَصِلْ سِوَى فَرَضٍ وَلَمْ أَصِمْ » إنما خص الصلاة والصوم بالذكر ؛ لأنهما محض عبادة بدنية ، وإنما سكت عن الإيمان لأنه لا يُتَنَفَّلُ به ولأن الذي يصلي الفرض ويصوم الفرض إنما هو المؤمن ، لا الكافر ، فلذلك لم يذكر الإيمان لأنه ثابت في قلبه والحمد لله .

(٣٠) قوله : « ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ الْخَيْرُ » هذا تخلص للشروع في المقصود ، وهو مدحه ﷺ ، والسنة : لغة الطريقة ، وشرعًا الطريقة المسلوكة في الدين من =

وَشَدَّ مِنْ سَغَبِ أَحْشَاءِهِ وَطَوَى

(٣١) تَحْتَ الْحِجَارَةِ كَشْحًا مُتَرَفَ الْأَدَمِ

وَرَاوَدَتْهُ الْجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ

(٣٢) عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيُّهَا شَمَمِ

= غير افتراض ولا وجوب ، و « مَنْ » واقعة على النبي ، وهو نبينا ﷺ .
وقوله : « أَحْيَا الظَّلَام » أي أنار الليل المظلم بالصلاة ، وقوله : « إِلَى أَنْ
اشْتَكَّتْ قَدَمَاهُ الضَّرْمَ مِنْ وَرَمٍ » ، واشتكاء القدمين كناية عن شدة الألم
الحاصل لهما من كثرة القيام ، على وجه المبالغة . والورم : ازدياد الحجم
على غير اقتضاء طبيعي ، وقد روى المغيرة أنه قام ﷺ حتى تورمت قدماه ،
فقليل له : أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ !
قال : « أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ؟ ! » .

(٣١) الشد : العصب والربط ، والسغب : الجوع ، و « مِنْ » الداخلة عليه
للتعليل ، والأحشاء جمع حشى ، وهو كما في الصحاح ما انضمت عليه
الضلوع ، وقيل : القلب ، وقيل : الأمعاء ، وفائدة هذا الشد انضمام
الأحشاء على المعدة ، فتحمد الحرارة بعض خلود ، وقد روى الشد
مسلم عن أنس قال : « جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَوَجَدْتُهُ جَالِسًا مَعَ
أَصْحَابِهِ يَحْدِّثُهُمْ ، وَقَدْ عَصَبَ بَطْنُهُ بِعَصَابَةٍ ، قَالُوا : مِنْ الْجُوعِ » .
وقوله : « وَطَوَى تَحْتَ الْحِجَارَةِ كَشْحًا مُتَرَفَ الْأَدَمِ » ، الطي : اللف ،
والكشح : الخاصرة ، والمترف : الناعم من الترف ، والأدم : الجلد .

(٣٢) قوله : « وَرَاوَدَتْهُ الْجِبَالُ الْخ » ، المرادة : المطالبة ، يقال راوده : أي
طلب منه أن يكون على مراده ، وإسناد المرادة للجبال مجاز ، والمقصود
جبال مكة ، كما تدل عليه الأحاديث الصحيحة ؛ إذ رُوي أن جبريل
عليه السلام نزل عليه ﷺ فقال له : إن الله يقرئك السلام ، ويقول
لك : أتحب أن تكون لك هذه الجبال ذهبًا وفضة ، تكون معك حيثما =

وَأَكَّدَتْ زُهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَتُهُ

(٣٣) إِنَّ الضَّرُورَةَ لَا تَعْدُو عَلَى الْعِصْمِ
وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَى الدُّنْيَا ضَرُورَةُ مَنْ

(٣٤) لَوْلَاهُ لَمْ تُخْرِجِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ

= كنت ؟ فأطرق **عليه السلام** ساعة ، ثم قال : يا جبريل إن الدنيا دارٌ من لا دارَ له ، ومالٌ من لا مالَ له ، يجمعها من لا عقلَ له « (رواه الإمام أحمد ، والبيهقي عن السيدة عائشة والبيهقي عن عبد الله بن مسعود موقوفاً) ، فقال له جبريل : « ثبتك الله بالقول الثابت » . وقوله **الشَّم** : أي المرتفعة وهي جمع أشم . وقوله : « **عن نفسه** » أي من أجل نفسه ، وقوله : « **فأراها أي شمم** » : أي فأراها شممًا أيما شمم ، أي شممًا عظيمًا .
(٣٣) قوله : « **وأكدت زهده فيها إلخ** » **التأكيد** : التقوية ، **والزهْد** : ترك الشيء وقلة الرغبة فيه ، والضمير المجرور بفي راجعٌ للجبال التي تكون من ذهب ، **والضرورة** : شدة الحاجة . وقوله : **إن الضرورة إلخ** مستأنف أو تعليل . وقوله : **لا تعدو على العصم** : أي لا تتعدى عليها ، يقال عدا عليه أي تعدى عليه ، وفي كلامه حذف مضاف ؛ أي على ذوي العصم أي المعصومين ، وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .
(٣٤) قوله : « **وكيف تدعو إلخ** » استفهام إنكاري بمعنى النفي ، أي لا تدعو إلخ ، **والدعاء** : الطلب والميل . وقوله : « إلى الدنيا » متعلق بتدعو ، والدنيا صفة في الأصل ثم نقلت إلى الاسمية ، فجعلت اسمًا لهذه الدار التي نحن فيها . وقوله : « **لولا أنه لم تخرج الدنيا من العدم** » ، أي لولا وجوده **عليه السلام** لاستمرت الدنيا على عدمها ، والأصل في ذلك ما رواه الحاكم ، والبيهقي ، من قول الله تعالى لآدم لما سأله بحق محمد أن يغفر له ما اقترفه من صورة الخطيئة ، وكان رأى على قوائم العرش مكتوبًا لا إله إلا الله محمد رسول الله : « سألتني بحقه أن أغفر لك ، وقد غفرت لك ، ولولا أنه ما خلقتك » فوجود آدم عليه السلام =

- (٣٥) والفريقينِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمٍ
نَبِيُّنَا الْأَمْرُ النَّاهِي فَلَا أَحَدٌ
(٣٦) أَبْرَ فِي قَوْلٍ لَا مِنْهُ وَلَا نَعَمٍ
هُوَ الْحَيِّبُ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ
(٣٧) لِكُلِّ هَوْلٍ مِّنَ الْأَهْوَالِ مُقْتَحَمٍ

= متوقف على وجوده ﷺ ، وآدم أبو البشر ، وأبو البشر إنما خلقت الدنيا لأجله ، فيكون ﷺ هو السبب في وجود كل شيء .
(٣٥) قوله : « سيد الكونين » أي أشرف أهل الكونين ، والمراد بالكونين الدنيا والآخرة ، وقوله : « والثقلين » أي : الإنس والجن ، وإنما سُميا ثقلين لإثقالهما الأرض ، أو لثقلهما بالذنوب . والعرب بضم العين وسكون الراء لغة في العرب بفتحها . والمراد بالعجم : جميع غير العرب .
(٣٦) قوله : « نبينا إلخ » ، الإضافة في نبينا لتشريف المضاف إليه ، وقوله : « الأمر الناهي » أي عن الله تعالى ، وقوله : « فلا أحد أبر في قول لا منه ولا نعم » أي إذا أمر ونهى ، فلا أحد أصدق منه في الأمر والنهي .
(٣٧) قوله : « هو الحبيب » الضمير راجع لمحمد ، أو لنبينا . وهو الحبيب : أي لله أو لأُمته لأنه أعظم محب لله ، وأفضل محبوب له ، وهو أيضاً محب لأُمته ، ومحبوب لها . وقوله : « الذي ترجى شفاعته لكل هول من الأهوال مقتحم » أي الذي تُتوقع شفاعته ، وهي طلب الخير للغير عند كل هول ، والهول : هو الأمر المخوف . وله ﷺ شفاعات ، منها شفاعته في فصل النِّصاء حين يتمنى الناس الانصراف من الحشر ولو للنار ، لشدة الهول ، وهذه هي الشفاعة العظمى ، وتسمى المقام المحمود ؛ لأنه يحمده الأولون والآخرين ، وهي مختصة به ﷺ ، ومنها شفاعته ﷺ في دخول جماعة الجنة بغير حساب ، =

دَعَا إِلَى اللَّهِ فَالْمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ

(٣٨) مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلِ غَيْرِ مُنْقَصِمٍ

فَاقَ النَّبِيِّنَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ

(٣٩) وَلَمْ يُدْأَنُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمٍ

وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مُلْتَمِسٌ

(٤٠) غَرْفًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدَّيَمِ

= ومنها شفاعته ﷺ في جماعة استحقوا النار ، لا يدخلونها ، بل يدخلون الجنة ، ومنها شفاعته ﷺ في جماعة دخلوا النار أن يخرجوا منها ، وهذه غير مختصة به ﷺ ، بل تكون لغيره أيضاً ، ومنها شفاعته ﷺ في رفع درجات أناس في الجنة ، ومنها شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عن بعض الكفار .
(٣٨) قوله « دعا إلى الله إلخ » أي دعا إلى دين الله ، وقوله : « فالمستمسكون به مستمسكون بحبل غير منقصم » : المراد من الحبل السبب ، كما هو أحد إطلاقيه ، والفصم بالفاء : القطع من غير إيانة .
(٣٩) قوله : « فاق النبيين إلخ » أي زاد ﷺ على النبيين . « في خلق » بفتح الخاء وسكون اللام : وهو الصورة والشكل ، وفي خلق بضمهم : وهو ما طبع عليه الإنسان من الخصال الحميدة ؛ كالعلم ، والحياء ، والجود ، والشفقة ، والحلم ، والعدل ، والعفة ، وأمثال ذلك .
(٤٠) رسول الله : هو سيدنا محمد ﷺ ، والمراد من قوله ملتمس : أخذ . وقوله : « غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم » : أي حال كون بعض الملتسمين مغترفاً من البحر ، وبعضهم مرتشفاً من الديم ، والغرف : مصدر غرف بمعنى أخذ ، والرشف : المص . والديم : جمع ديمة وهي المطر الدائم يوماً وليلة من غير رعد (جمع ديمة ، قال في القاموس : والديمة - بالكسر - مطر يدوم في سكون بلا رعد ويرق) ، والمراد من البحر والديم هنا علمه وحلمه ﷺ .

وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمْ

(٤١) مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحِكْمِ
فَهُوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ

(٤٢) ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيبًا بَارِئُ النَّسَمِ
مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكَ فِي مُحَاسِنِهِ

(٤٣) فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمٍ

(٤١) معنى كونهم واقفين لديه عند حددهم : أنهم ثابتون عنده ﷺ في العلم والحكم عند الحد الذي حدّه لهم من ذلك فلا يتجاوزونه . وقوله : « من نقطة العلم أو من شكله الحكم » بيان لحدهم ، والمراد من العلم والحكم علمُ الرسول وحكمه كما قال بعض الشارحين ، وقيل : « المراد بهما علم الله وحكمه » ، وإنما خص النقطة بالعلم والشكلة بالحكم لأن النقطة تميز الحروف المشتبهة الصور ، والعلم خاصّته التمييز ، والشكلة بها يضاف الحكم لصاحبه مع زوال اللبس والاختلال ، والحكمة فائدتها وضع الشيء في المكان الذي يستحقه على أكمل وجه لئلا يختل النظام .

(٤٢) معناه : أي كمالاته الباطنية من الخلق ، والمراد بصورته : صفاته الظاهرية ، وقوله : « ثم اصطفاه حبيباً بارئ النسم » ، أي ثم اختاره حبيباً خالق الخلق ، والنسم بفتح النون المشددة : جمع نسمة بفتحات ، وهي الإنسان .

(٤٣) قوله : « منزّه إلخ » أي وهو منزّه إلخ . وقوله عن شريك : أي عن كل شريك . وقوله : « في محاسنه » أي صورة ومعنى ، وقوله : « فجوهر الحسن » إلخ : المراد من جوهر الحسن ذاته وحقيقته ، وقوله : « فيه » أي الكائن فيه ، وقوله : « غير منقسم » : أي بينه وبين غيره لاختصاصه به ، بخلاف يوسف عليه السلام فإنه أعطي شطر الحسن .

دَعَّ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمْ

(٤٤) **وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحًا فِيهِ وَاحْتِكُمْ**

وَأَنْسُبْ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرِّ

(٤٥) **وَأَنْسُبْ إِلَى قَدْرِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمٍ**

فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ

(٤٦) **حَدٌّ فَيُعْرَبَ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمٍ**

لَوْ نَاسَبَتْ قَدْرَهُ آيَاتُهُ عِظَمًا

(٤٧) **أَخِيَا اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دَارِسَ الرَّمَمِ**

(٤٤) في هذا البيت إشارة إلى قوله ﷺ : « لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ، ولكن قولوا عبد الله ورسوله » (وفي لفظ رواه البخاري : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله ») ، والمراد بما ادَّعته النصارى في نبيهم قولهم بأنه إله ، والنصارى هم قوم عيسى ، وقوله : « واحكم بما شئت مدحاً فيه » : أي احكم بما شئت مما يدل على شرفه وعلو شأنه وعظم جاهه من جهة المدح فيه ﷺ ذاتاً وصفات . وقوله : « واحتكم » أي راع الحكمة في مدحك له ﷺ .
(٤٥) قوله : « ما شئت من شرف » أي الذي شئت من صفات الشرف ، وقوله : « وانسب إلى قدره ما شئت من عظم » أي وانسب إلى كماله الذي شئت من صفات العظم .
(٤٦) هذا البيت تعليل للبيت قبله ، فكأنه قال : لأن فضل رسول الله إلخ ، وقوله : « ليس له حد » أي ليس له غاية ومنتهى . وقوله **يعرب** : أي يفصح ، ومعنى « ناطق » متكلم .
(٤٧) قوله : « لو ناسبت إلخ » ، لو ناسبت آياته قدره في العظم لكان من جملة آياته أن يحيى اسمه دارس الرمم حين يدعى به ؛ لأن الواقع أن =

لَمْ يَمْتَحِنَا بِمَا تَعْيَا الْعُقُولُ بِهِ

(٤٨) حِرْصًا عَلَيْنَا فَلَمْ تَرْتَبْ وَلَمْ نِهِمْ

أَعْيَا الْوَرَى فَهُمْ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَى

(٤٩) فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُنْفَحِمٍ

كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعْدٍ

(٥٠) صَغِيرَةً وَتُكِلُ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمٍ

= قدره ﷺ أعظم من آياته حتى من القرآن المتلو بخلاف القرآن غير المتلو ، وهو المعنى القائم بذاته تعالى ؛ فإنه أعظم منه لأن القديم أفضل من الحادث ، والمراد **بآياته** أعلام نبوته أي دلائلها ، كالمعجزات . وقوله : **« أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم »** أي أحيا الله بسبب اسمه دارس الرمم حين يدعى به ، و **« دارس »** بمعنى مدرّس ، و **الرمم** : جمع رمة ، وهي الشيء البالي ، والمدرّوسة : التي زيد في بلائها .

(٤٨) قوله : **« لم يمتحنا إلخ »** أي لم يخبرنا بشيء تعجز عنه عقولنا ، بل أتى بالحنيفية الواضحة ، فالامتحان : الاختبار ، **تعيا** : العي بالامر : العجز عنه ، وعدم الاهتداء لوجهه . **حرصا** : الحرص على الشيء : شدة الرغبة فيه ، و **الارتباب** : الشك ، و **الهيام** : التحير .

(٤٩) قوله : **« أعي الورى »** إلخ ، الإعياء : الإعجاز ، و **الورى** : الخلق . وقوله : **« فهم معناه »** أي إدراك حقيقته ﷺ . و **يرى** بالبناء للمفعول ، وهي بصرية . و **« في »** بمعنى « عن » . و **المنفحم** : العاجز . وحاصل المعنى أنه أعجز الخلق فهم حقيقته فليس يبصر شخص غير عاجز عنه في القرب والبعد منه ﷺ .

(٥٠) قوله : **« كالشمس إلخ »** أي هو كالشمس إلخ ، والمقصود تشبيهه ﷺ بالشمس في أنه لا يخاطب كنهه وحقيقته في حالتي القرب والبعد ، وقوله : **« وتكل الطرف »** أي وتعيي البصر وتضعفه لقوة شعاع نورها ، وقوله : **« من أمم »** أي في حالة القرب ، والأمم بفتح الهمزة : القرب .

وَكَيْفَ يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ

(٥١) قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلُّوا عَنْهُ بِالْحُلُمِ

فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ

(٥٢) وَأَنَّهُ خَيْرٌ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ

وَكُلُّ آيٍ آتَى الرُّسُلَ الْكِرَامُ بِهَا

(٥٣) فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمْ

فَإِنَّهُ شَمْسٌ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا

(٥٤) يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلُمِ

- (٥١) كيف : للاستفهام الإنكاري ، وهو بمعنى النفي ، أي لا يدرك إلخ ، واحترز بقوله « في الدنيا » عن الآخرة ، فإنهم يدركون فيها حقيقته ﷺ ، والمراد بحقيقته ﷺ قدره ومنزله ، وقوله : « قوم نيام » أي قوم غافلون عن النظر في حقيقته ، والمراد بالقوم جميع الوري ، وقوله : « تسَلُّوا عنه بالحلم » بضم اللام : أي اكتفوا عن النظر في حقيقته تفصيلاً بما يشبه الحلم .
- (٥٢) ما يبلغه علم الناس في حقه ﷺ : أنه بشر ، لا إله ولا ملك ، وأنه خير مخلوقات الله كلهم إنساً وجناً وملكاً وغيرهم . والبشر : اسم لبني آدم ، سُموا بذلك لبدؤ بشرتهم ، وهي ظاهر الجلد . وخير : أصله « أخير » حُذفت منه همزة لكثرة الاستعمال . والخلق : بمعنى المخلوقات .
- (٥٣) قوله : « وكلُّ آيٍ آتَى الرسل إلخ » ، جمع آية بمعنى المعجزة ، والرسل : جمع رسول ، والكرام : جمع كريم ، والمراد بنوره معجزاته ، ويصح حمله على النور المحمدي الذي هو أصل المخلوقات كلها .
- (٥٤) أي فإنه كالشمس في الفضل ، وقوله : « هم كواكبها » أي الرسل كواكب الشمس ، أي مثل كواكبها ، وكما أن الشمس إذا بدت لم يبق أثر للكواكب ، فكذلك شريعته ﷺ لما بدت نسخت غيرها من سائر الشرائع .

أَكْرَمَ بِخَلْقِ نَبِيِّ زَانَهُ خُلُقٌ

بِالْحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بِالْبِشْرِ مُتَّسِمٍ (٥٥)

كَالزَّهْرِ فِي تَرْفٍ وَالبَدْرِ فِي شَرْفٍ

وَالْبَحْرِ فِي كَرَمٍ ، وَالدَّهْرِ فِي هَمٍّ (٥٦)

كَأَنَّهُ وَهُوَ فَرْدٌ مِنْ جَلَالَتِهِ

فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي حَشَمٍ (٥٧)

(٥٥) قوله : « أكرم بخلق نبي إلخ » أي ما أكرم خلق نبي إلخ ، وهو الخلق بفتح الخاء وسكون اللام ، وقوله : « زانه خلق » أي حسنه خلق بضم الخاء واللام ، بمعنى زاده حسناً . وقوله : « بالحسن مشتمل بالبشر متسم » أي متصف بالحسن ، فاشتماله به من اشتمال الموصوف بالصفة ، متصف بالبشر ، وهو بكسر الباء وسكون الشين المعجمة : بشاشة الوجه وطلاقة . وحاصل المعنى : ما أحسن صورة نبي حسنه خلق ، متصف بالحسن ، متصف بالبشاشة وطلاقة الوجه .

(٥٦) الزهر : ثور النبات بفتح النون ، والترف : بفتح التاء والراء : النعومة ، والبدر : هو القمر ليلة كماله ، وهي ليلة أربعة عشر . والشرف بفتح الشين والراء : العلو . وكرم البحر مذكور في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِيَتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا ثَلَبُوسًا ﴾ ، والدهر : الزمن ، والههم : جمع همة وهي العزم على الشيء والإرادة له .

(٥٧) وتقدير البيت : كأنه حين تلقاه وهو فردٌ مثل حاله وهو محاط بجيشه وحشمه ، وذلك من مهابته وجلالته : الجلالة : العظمة ، والعسكر : الجيش ، والحشم : (بفتح الحاء والشين المعجمة) : الخدم .

كَأَنَّمَا اللَّؤْلُؤُ الْمَكْنُونُ فِي صَدْفٍ

- (٥٨) مِنْ مَعْدِنِي مَنُطِقٍ مِنْهُ وَمُبْتَسِمٍ
لَا طِيبَ يَعْدِلُ تُرْبًا ضَمَّ أَعْظَمُهُ
(٥٩) طُوبَى لِمُنْتَشِقٍ مِنْهُ وَمُلْتَثِمٍ
أَبَانَ مَوْلَدُهُ عَنْ طِيبٍ عُنْصُرِهِ
(٦٠) يَا طِيبَ مُفْتَتِحٍ مِنْهُ وَمُخْتَتَمٍ

(٥٨) شبه اللؤلؤ المكنون في صدفه بكلامه وثغره ﷺ اللذين يبرزان من معدني منطقته ومبتسمه ، واللؤلؤ : هو الدر المسمى بالجوهر ، والمكنون : المصون ، والصدف : المحار الذي يتولد فيه ، وهو وعاء له يحفظه حتى ينشق عنه ، والمنطق : محل النطق ، والمبتسم بفتح السين : محل الابتسام .
(٥٩) لما مدحه ﷺ بما اتصف به من المحاسن قبل مفارقتها الدنيا ، مدحه بما اتصف به من المحاسن بعدها ، والطيب : ما يطيب به من مسك ونحوه ، والتراب بسكون الراء : لغة في التراب ، والضم : الجمع ، والأعظم : جمع عظم ، وطوبى : إما مصدر بمعنى التطيب أو اسم لشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام ولا يقطعها . وحاصل المعنى : لا طيب يساوي التراب الذي جمع الجسد الشريف ، وهو تراب قبره ﷺ ، ولما كان الطيب يستعمل على وجهين : تارة يستعمل بالشم ، وتارة يستعمل بالتضمخ ، أشار للأول بقوله : « منتشق » وللثاني بقوله : « ملتثم » ، والمراد بالملتثم هنا المعفر موضع اللثام ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « القبر أول منزل من منازل الآخرة ؛ فإذا روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار » ولا شك أن قبره ﷺ روضة من رياض الجنة بل أفضلها ، وقد قال أيضا ﷺ : « ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة » .

(٦٠) مولده : يصلح لأن يراد به الولادة أو زمانها أو مكانها ، والطيب : الخلوص عما لا ينبغي في النسب ، و« العنصر » بضم العين المهملة وسكون النون =

يَوْمَ تَفْرَسَ فِيهِ الْفُرْسُ أَنَّهُمُوا

(٦١) قَدْ أَنْذَرُوا بِحُلُولِ الْبُؤْسِ وَالنِّقَمِ

وَبَاتَ إِيوَانُ كِسْرَى ، وَهُوَ مَنْصَدِعٌ

(٦٢) كَشْمَلٍ أَصْحَابِ كِسْرَى غَيْرَ مَلْتَمٍ

= وضم الصاد هو الأصل ، والمراد به آباؤه الذين تناسل هو منهم . والمراد بالفتح بفتح إلتاءين : من فوق آدم عليه السلام ، وبالمختتم كذلك أبوه ﷺ عبد الله ، خلافا لما قاله بعض الشارحين من أن المراد بالفتح هاشم ، وبالمختتم النبي ﷺ . ومن آيات مولده ﷺ ما ذكره عن أمه أنها قالت : « لقد أخذني الطلق ، وإنني لوحيدة في المنزل ، وعبد المطلب في طوافه يوم الإثنين ، فسمعت وجبة (أي سقطرة) هالتي ، ورأيت كأن جناح طير أبيض مسح فؤادي ، فذهب رعي وكل وجع أجده ، وكنت عطشى فإذا بشربة بيضاء ، فشربتها ، فأصابني نور عال » إلى آخر الحديث ، وقد ذكره بطوله القسطلاني .

(٦١) تفرس فيه الفرس : أي ظهر لهم بطريق الفراسة بكسر الفاء ، وهي قوة يدرك بها الإنسان المعاني اللطيفة بسبب المخايل الظاهرة . والفرس : بضم الفاء وسكون الراء أهل مملكة فارس ، وكانوا مجوسا يعبدون النار بعد رفع كتابهم حين بدّلوه ، وإنما سُمّوا فرسا لأنه ولد لأبيهم بضعة عشر رجلا ، كل منهم شجاع فارس ، فسُمّوا الفرسان لذلك . وقوله : « أنهم » بالإشباع ، وقوله : « قد أنذروا » أي أعلموا بالبناء للمجهول ، وقوله : « بحلول البؤس والنقم » أي ينزل البؤس والنقم ، والبؤس : هو الشدة المؤثرة في القلب أهم والحزن ، و « النقم » جمع نقمة وهي العقوبة .

(٦٢) أي وبات في ليلة ولادته ﷺ إيوان كسرى إلخ ، والإيوان : بناء يُبنى طولاً غير مسدود الوجه ، يُعده الملك لجلوسه فيه لتدبير ملكه . وكسرى بكسر الكاف : لقب لكل من ملك الفرس ، وقوله « وهو منصدع » أي والحال أنه منشق شقاً بينا أشرف به على الهدم ، ومع انصداعة سقط منه أربع عشرة شرافة من شرافاته ، وكانت اثنتين وعشرين . وقوله : « كشمَل أصحاب كسرى بفتح الشين أي حالهم ، وقوله « غير ملتَم » خبر بات .

وَالنَّارُ خَامِدَةٌ الْأَنْفَاسِ مِنْ أَسْفٍ

(٦٣) عَلَيْهِ ، وَالتَّهَرُّ سَاهِي الْعَيْنِ مِنْ سَدَمٍ

وِسَاءٍ سَاوَةٌ أَنْ غَاضَتْ بُحَيْرَتُهَا

(٦٤) وَرُدَّ وَارِدُهَا بِالْغَيْظِ حِينَ ظَمِي

كَأَنَّ بِالنَّارِ مَا بِالمَاءِ مِنْ بَلَلٍ

(٦٥) حُزْنًا ، وَبِالمَاءِ مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمٍ

(٦٣) النار : هي نار الفرس التي كانوا يعبدونها ، ولم تخمد قبل تلك الليلة بألف عام . والأنفاس : جمع نفس بفتح الفاء ، والمراد به هنا هب النار ، وقوله : « من أسف » أي من أجل أسف أي شدة الحزن ، « عليه » : جوز بعض الشارحين أن يكون راجعاً إلى النبي ﷺ . وقوله : « والنهر ساهي العين » : المراد بالنهر نهر الفرات ، والمراد بكونه ساهي العين : أنه ساكن العين التي هي مادته عن الجري ، ويحتمل أن في الكلام استعارة بالكناية ، فيكون قد شبه النهر بإنسان ساهي العين . وقوله : « من سدم » أي من أجل سدم ، فمن للتعليل ، والسدم بفتح السين والذال : الحزن .
(٦٤) قوله : « وساء ساوة » إلخ أي وساء أهل ساوة إلخ ، وساء اسم لمدينة من مدن الفرس . غاضت : غار مأوها وذهب بالمرّة ، والباء في قوله : « بالغيط » للملابسة أو المصاحبة . وحاصل المعنى : وأحزن أهل المدينة المسماة بساوة أمران : أحدهما غيظُ مائها ، والثاني ردّ الذي يردّها ليستقي منها بالغيط حين عطش .
(٦٥) قوله : « كأن بالنار » والأصل كأن ما بالماء بالنار ، وما اسم موصول بمعنى الذي ، من بلل : بيان لها . وقوله : « حزنًا » أي للحزن ، والضرم : الالتهاب . وحاصل المعنى أن النار التي خمدت تلك الليلة صارت كأن بها ما بالماء من البلل ، فصارت مبتكة لحزنها ، وأن الماء الذي غاض تلك الليلة صار كأن فيه ما بالنار من الضرم لحزنه أيضاً .

(٦٦) وَالْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنَى وَمِنْ كَلِمِ

عَمُّوا وَصَمُّوا فإِعْلَانُ الْبَشَائِرِ لَمْ

تُسْمَعُ ، وَبَارِقَةُ الْإِنْذَارِ لَمْ تُشَمَّ (٦٧)

(٦٦) أي وصارت الجن تهتف في الجبال والأودية ، والجن : هم أولاد إبليس ، كما أن البشر أولاد آدم ، وقيل : الجن أولاد الجان ، فيإبليس أبو الشياطين ، والجان أبو الجن ، والقول الأول أقوى^(١) ، والتهتف : قيل الصوت مطلقاً ، وقيل الصوت الخفي . « **والأنوار ساطعة** » أي والأنوار التي خرجت معه ﷺ عند ولادته لأمعة ظاهرة ، ففي الحديث عن أمته رضي الله تعالى عنها أنها قالت : « لما ولدته خرج من فرجي نورٌ أضاء له قصور الشام ، فولدته نظيفاً ما به قذر » . وقوله : « **والحق يظهر من معنى ومن كلم** » أي والحق الذي هو أمره ﷺ من نبوته ورسالته يظهر من معنى كالأنوار ، ومن كلم كهتف الجن .

(٦٧) **عموا وصموا** إلخ : الضمير فيها راجع للكفار ، لكونهم لم يتفهموا بما شاهدوه من المعنى ، ولا بما سمعوه من الكلم . وقوله : « **فإعلان البشائر لم تسمع** » أي فإظهار البشائر به ﷺ كهتف الجن لم تسمع لهم سماع قبول ، وقوله : « **وبارقة الإنذار لم تشم** » ، أي ولامعة الإنذار به ﷺ ، أي تخويفهم به ، كالأنوار لم تُنظر لهم نظر قبول ، يقال شام البرق : نظر إليه .

(١) الأصناف ثلاثة : بنو آدم ، والجن ، والملائكة : قال رسول الله ﷺ : « خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وُصف لكم » رواه الإمام أحمد والإمام مسلم ، وليس هناك صنف رابع اسمه الشياطين ، وإنما هم من ذرية إبليس لعنه الله ، ولعن كافرهم معه ، والجن أجناس وقبائل كما أن بني آدم أجناس وقبائل .

مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الْأَقْوَامَ كَاهِنَهُمْ

(٦٨) بَانَ دِينَهُمُ الْمَعُوجَ لَمْ يَقُمْ

وَبَعْدَ مَا عَاينُوا فِي الْأَفْقِ مِنْ شُهْبٍ

(٦٩) مَنقُضَةٍ وَفَقَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ صَنَمٍ

حَتَّى غَدَا عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ مُنْهَزِمٌ

(٧٠) مِنَ الشَّيَاطِينِ يَقْفُو إِثْرَ مُنْهَزِمٍ

(٦٨) قوله: « **من بعد ما أخبر** » أي من بعد الإخبار، والكاهن: من كان له تابع من الجن يخبره بخبر السماء، وقوله: « **بان دينهم المعوج لم يقم** »، أي بان ما هم عليه من الدين المعوج، لاشتماله على عبادة الأصنام، لا قيام له، مع وجوده ﷺ.

(٦٩) قوله: « **وبعد ما عاينوا** »، والتقدير عاينوه أي شاهدوه وأبصروه، وقوله: « **في الأفق** »، والمراد به هنا السماء: لا حقيقته، التي هي أطراف السماء المماسية للأرض لعدم وجود الشهب في ذلك، وقوله: « **من شهب** » جمع شهاب، وهو شعلة من نار ساطعة، وقوله: « **منقضة** » أي ساقطة من السماء على الشياطين الذين كانوا يسترقون السمع من الملائكة ليلة ولادته ﷺ. وقوله: « **وفق ما في الأرض** » أي مثل ما في الأرض في الانقضااض والسقوط. وقوله: « **من صنم** » بيان لها، والصنم: الوثن، وقيل: الصنم ما كان من حجر، والوثن ما كان من غيره كنجاس.

(٧٠) قوله: « **حتى غدا** » إلخ أي ولم تزل الشهب تنقض إلى أن غدا إلخ، وغدا: بمعنى صار، وقوله « **عن طريق الوحي** » طريق الوحي: هو السماء. والوحي: الكلام الخفي، والمنهزم: الهارب، وقوله: « **من الشياطين** » بيان لمنهزم، وقوله: « **يقفو أثر منهزم** » أي يتبع أثر هارب آخر. وحاصل المعنى: ولم تزل الشهب تنقض إلى أن صار هارب من الشياطين عن السماء التي هي طريق الوحي يتبع أثر هارب آخر، وهلم جرًا.

كَأَنَّهُمْ هَرَبًا أَبْطَالُ أَبْرَهَةَ

(٧١) أَوْ عَسْكَرٌ بِالْحَصَى مِنْ رَاحَتَيْهِ رُمِيَ

نَبَذًا بِهِ بَعْدَ تَسْبِيحٍ يَبْطُنُهُمَا

(٧٢) نَبَذَ الْمَسِيحُ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْتَقِمٍ

جَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ الْأَشْجَارُ سَاجِدَةً

(٧٣) تَمْشِي إِلَيْهِ عَلَى سَاقٍ بِلَا قَدَمٍ

(٧١) قوله: «كَأَنَّهُمْ هَرَبًا» إلخ الضمير للشياطين . والأبطال : جمع بطل ، وهو الشجاع القوي جدا . وأبرهه : بالصرف للضرورة الشعرية : ملك اليمن . والعسكر : الجيش ، والحصى : حجارة صغيرة صلبة . والراحتان : بطن الكف . ورمي الحصى كان في غزوة بدر .

(٧٢) قوله: «نَبَذًا بِهِ» إلخ أي نبذه ﷺ نَبَذًا إلخ ، وقوله: «بِهِ» أي بالحصى ، الحصى المرمي به سبى في كفيه ﷺ . وقوله: «نَبَذَ الْمَسِيحُ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْتَقِمٍ» أي كنبذ المسيح ، الذي هو يونس عليه السلام ، من أحشاء الملتقم له ، والأحشاء : ما انضمت عليه الأضلاع ، وقيل : الأمعاء . والملتقم له هو الحوت ، قال الله تعالى : ﴿ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ [الصافات] .

(٧٣) قوله: «جَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ الْأَشْجَارُ إلخ» أي أتت لطلبه الأشجار إلخ ، وقوله: «سَاجِدَةً» ، والمراد بالسجود هنا معناه اللغوي ، وهو الخضوع ، والساق : ما تحت الفروع من الشجرة ، وقوله: «بِلَا قَدَمٍ» صفة للساق ، أو متعلق بتمشي ، وأشار بذلك لما رُوي أن أعرابياً سأل النبي ﷺ آية ، فقال له : قل لتلك الشجرة : رسول الله يدعوك ، فمالت عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها ، حتى قطعت عروقها ، ثم جاءت تجر عروقها في الأرض ، فوقفت بين يديه ، وقالت : السلام عليك يا رسول الله ، قال الأعرابي : مُرَّهَا فَلترجع إلى منبتها ، فأمرها فرجعت ، ودلت عروقها في منبتها فاستوت فيه (١) .

(١) القصة بطولها في كتاب (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) للقاضي عياض رحمه الله تعالى في فصل المعجزات .

كَأَنَّمَا سَطَرْتُ سَطْرًا لِمَا كَتَبْتُ

(٧٤) فُرُوعُهَا مِنْ بَدِيعِ الْخَطِّ فِي اللَّقَمِ

مِثْلَ الْغَمَامَةِ أَنَّى سَارَ سَائِرَةٌ

(٧٥) تَقِيهِ حَرَّ وَطِيسٍ لِلْهَجِيرِ حَمِي

(٧٤) المعنى : « كأنما سطرت » تلك الأشجار في حال مشيها سطرًا للذي كتبه فروعها ، وهو الخط البديع أي الذي لم يُعهد مثله ، المرسوم في اللقم ، اللقم : بفتح اللام والقاف : وسط الطريق لكونها مشيت مشي استقامة .
(٧٥) قوله : « مثل الغمامة » إلخ أي : هي مثل الغمامة : السحابة . وقوله : « أنى سار سائرة » أي في أي موضع سار هي سائرة ، وقوله : « حر وطيس » أي حر الشمس الشبيهة بالوطيس في الحرارة وقوله : « للهجير » أي عند الهجير ، والهجير والهاجرة بمعنى واحد : وهو وسط النهار إذا كان حارًا . وقوله : « حمي » يصح جعله فعلاً ماضياً فتكون الجملة صفة لوطيس ، أو في موضع الحال من الهجير ، أي حال كونه قد حمي ، ويصح جعله اسم فاعل بمعنى حام . وهذا البيت إشارة إلى ما روي من أن أبا طالب خرج إلى الشام ومعه النبي ﷺ في أشياخ من قريش ، إلى أن أشرفوا على بحيرا الراهب ، وكان في صومعته ، فنزلوا عنده وحطوا رحالهم ، وكانوا يمرون به قبل ذلك فلا يخرج إليهم ، وفي هذه المرة خرج إليهم ، وجعل يتخللهم حتي جاء للنبي ﷺ فقال : هذا سيد العالمين هذا رسول الله الذي يبعثه رحمة للعالمين ، فقال له أشياخ قريش : وما أعلمك بهذا ؟ فقال : إنكم من حين أشرفتم من مكة والغمامة تظللته فوق رأسه .

أَفْسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُنْشَقِّ إِنَّ لَهُ

(٧٦) مِنْ قَلْبِهِ نَسَبَةٌ مَبْرُورَةٌ الْقَسَمِ

وَمَا حَوَى الْغَارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ

(٧٧) وَكُلُّ طَرْفٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي

(٧٦) قوله : « أَفْسَمْتُ بِالْقَمَرِ » إلخ أي أقسمت برب القمر إلخ ، وقوله : « المنشق » أي الذي انشق آية له ﷺ ؛ لأن أهل مكة سألوه آية فأراهم انشقاق القمر فلقطين ، فكانت فلقه فوق الجبل وفلقه دونه ، فقال رسول الله ﷺ : « اشهدوا » ، فقال كفار قريش : قد سحرنا محمد ، فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى يظهر هل رأوا مثل هذا ، فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقا ، فقال كفار قريش : هذا سحرٌ مستمر ، فنزل قوله تعالى : ﴿ أَفَتَرَبَّ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ^(١) [القمر: ١، ٢] ، والمراد بالنسبة : المناسبة والمشابهة في الانشقاق ، وأما انشقاق قلبه الشريف فقد وقع أربع مرات ، وقد جمعها بعضهم في قوله :

وشق صدر المصطفى وهو في دار بني سعدٍ بلا مرية

كشقه وهو ابن عشر ، ثم في ليلة معراج ، وعند البعثة

وقوله : « مَبْرُورَةٌ الْقَسَمِ » أي أن القسم عليها مبرور فيه ، يقال برٌّ في يمينه إذا صدق فيها .

(٧٧) الغار : ثقب في الجبل ، وكان في جبل ثور بأسفل مكة ، وقوله : « من خيرٍ ومن كرمٍ » بيان لما حوى الغار ، وكلٌّ منهما لكل من النبي ﷺ =

(١) وانشقاق القمر له ﷺ لا يعارض فيه إلا مكابر ؛ لأن الحديث مروى في أغلب كتب الحديث ، وأولها البخاري ، كما ذكر ذلك صاحب « الشفا » ، والقرآن صريح في ذلك .

فَالصَّدَقُ فِي الْغَارِ وَالصَّدِيقُ لَمْ يَرِ مَا

(٧٨) وَهُمْ يَقُولُونَ مَا بِالْغَارِ مِنْ أَرَمٍ

ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ عَلَى

(٧٩) خَيْرِ الْبَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ وَلَمْ تَحْمِ

= ومن أبي بكر ، ويحتمل أن الأول للنبي ﷺ ، والثاني لأبي بكر ، وعلى هذا فإنما خصه بالكرم لأنه أثر رسول الله ﷺ بنفسه وماله ، ولذلك لما أتيا إلى الغار تقدّم أبو بكر في الدخول لاحتمال أن يكون فيه ما يؤذي ، فيثقله عن رسول الله ﷺ . وقوله : « **وكل طرف** » إلخ أي والحال أن كل طرف إلخ ، فالواو للحال ، والطرف بسكون الراء هو البصر . قوله « **عنه** » أي عن ما حوى الغار ، وقوله : « **عمي** » يحتمل جعله فعلا ، وجعله اسما . وقد لبث النبي وأبو بكر في الغار ثلاث ليال ، وجاء الكفار حوالى الغار ينظرون ، فأعماهم الله تعالى عنهما .
(٧٨) قوله : « **فالصدق** » إلخ أي فذو الصدق ، أو يؤول الصدق بالصادق ، وقوله « **والصديق** » : أي في الغار ، وقوله « **لم ير ما بكسر الراء** » أي لم يبرح ، وأصله يريما ، حُذفت منه الياء . وقوله « **وهم يقولون** » أي والحال أنهم يقولون إلخ ، والضمير راجع للكفار . « **ما بالغار من أرم** » ، وأرم بفتح الهمزة وكسر الراء بمعنى واحد ، أي ليس في الغار شيء .
(٧٩) قوله « **ظنوا الحمام** » إلخ هذا البيت كالتعليل لما قبله ، كما علمت ، وقوله « **على خير البرية** » ، البرية : الخلق ، وخيرهم : محمد ﷺ ، وقوله « **لم تنسج** » بكسر السين وضمها راجع للعنكبوت ، وقوله « **لم تحم** » بضم الحاء راجع للحمام ، وسبب ظنهم ذلك أن هذين متى أحسا بالإنسان فرأ منه ، ولم يعلموا أن الله تعالى يحفظ من شاء من عباده بما شاء من خلقه .

وَقَايَهُ اللهُ أَغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةٍ

(٨٠) مِنَ الدَّرْعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الْأُطْمِ

مَا ضَامَنِي الدَّهْرُ يَوْمًا وَاسْتَجَرْتُ بِهِ

(٨١) إِلَّا وَنَلْتُ جَوَارًا مِنْهُ لَمْ يُضِمَّ

وَلَا التَّمَسْتُ غِنَى الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ

(٨٢) إِلَّا اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمٍ

(٨٠) قوله « وقاية الله » إلخ أي حفظ الله لهما من الكفار أغناهما عن مضاعفة من الدروع بأن يلبس الشخص درعاً فوق درع للحفظ من العدو ، أو أن تنسج الدرع حلقتين ، وقوله « وعن عالٍ من الأطم » أي : وأغنت عن عالٍ من الحصون .

(٨١) قوله « ما ضامني الدهر يوماً » إلخ أي ما ظلمني الدهر في يوم إلخ ، وقوله « واستجرت به » أي طلبت منه أن يجيرني من ذلك ، وقوله « إلا ونلت جواراً منه » أي إلا وأعطيت جواراً بكسر الجيم وضمها أي جمى وحفظاً ، وقوله « لم يضم » بالبناء للمجهول أي لم يُحتقر ، بل يُحترم .

(٨٢) « ولا التمسْتُ » : الالتماس : الطلب بخضوع وذلة . وقوله « غنى الدارين » : أي دارَي الدنيا والآخرة ، والغنى في الأولى بالكفاية ، وفي الثانية بالسلامة من العذاب . وقوله « من يده » أي من نعمته ﷺ ، وقوله « إلا استلمت » أي إلا أخذت ، وقوله « الندى » بفتح النون مع القصر هو العطاء والكرم ، وقوله « من خير مستلم » بفتح اللام ، أي من خير مستلمٍ منه ، وإنما كان ﷺ خير مستلمٍ منه لأنه لا يرد سائله .

لَا تُنْكِرِ الْوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاهُ؛ إِنَّ لَهُ

(٨٣) قَلْبًا إِذَا نَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَنَمْ

وَذَاكَ حِينَ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ

(٨٤) فَلَيْسَ يُنْكِرُ فِيهِ حَالُ مُحْتَلِمٍ

تَبَارَكَ اللَّهُ مَا وَحْيِي بِمُكْتَسَبٍ

(٨٥) وَلَا نَبِيٌّ عَلَى غَيْبٍ بِمُتَّهِمٍ

(٨٣) أي لا تنكر الوحي حال كونه مبتدأ من رؤياه في النوم ؛ فإن بدء الوحي كان بالرؤيا الصالحة في النوم ، وكان ﷺ لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . وقوله « **إِنَّ لَهُ قَلْبًا** » إلخ تعليل لما قبله ، أي إن له ﷺ قلبًا له اليقظة الدائمة ، وقد ورد في الصحيحين : « إن عيني تنامان ولا ينام قلبي » .

(٨٤) قوله « **وَذَاكَ** » : اسم الإشارة راجع للوحي من رؤياه في النوم ، وقوله « **حِينَ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ** » أي حين وصول إلى نبوته . والمراد **بِحَالِ الْمُحْتَلِمِ** : الوحي من رؤياه في النوم ؛ لأن المحتلم هو النائم ، وحاله : ما يراه في نومه ، والحاصل أن ذلك إنما كان في ابتداء النبوة ، وقد بُنيء على رأس أربعين سنة ، وذلك حدُّ مبدأ النبوة .

(٨٥) **تَبَارَكَ اللَّهُ** : تنزه الله وتعالى وارتفع عما يقوله الكافرون علوًا كبيرًا ، وقوله « **مَا وَحْيِي بِمُكْتَسَبٍ** » أي ليس وحيي ، وإن قلَّ ، بمكتسب لأحد بسعيه فيه ، فالذي عليه أهل الحق أن الوحي ليس مكتسبًا ، قال تعالى : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ

= تَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴿١﴾ [الأنعام: ١٢٤]. وقوله: «ولا نبي على غيب بمتهم»

أي ولا نبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بمتهم على إخبار بغييب، أي على الإخبار بأمر غائب؛ لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكذب، كسائر المعاصي، ولا يُردُّ بقوله تعالى: ﴿لَيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ [الشرح: ٢]، ونحو ذلك؛ لأن ما يقع منهم من باب «حسنات الأبرار سيئات المقرئين»، وفي ذلك إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَئِينِ﴾ ﴿٢﴾ [التكوير: ٢٤] أي بمتهم، وإلى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ﴿١﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤]، والحاصل: أن الأنبياء معصومون من الكبائر وصغائر الخسة بإجماع، فأما قصة آدم، وهي أنه أكل من الشجرة، وقد نهاه الله عنها، فمحمولة على أنه تأول النهي، مع أنه وإن كان منهياً ظاهراً فهو مأمور باطناً لحكمة يعلمها الله تعالى، وأما قول إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام «هذا ربي» فقد ذكره مجازة لهم، أي هذا ربي بزعمكم، وأما هم يوسف بزيخا فهو أمرٌ جبلي لا اختياري حتى يكون مذموماً، والرغبة في النساء محمودة، إذ عدمها يدل على العنة، وهي نقيصة، ولما هم يوسف بمقتضى الجبل امتنع لكونه رأى برهان ربه: ﴿وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾، وأما قصة داود - عليه الصلاة والسلام - وهي أنه خطر بباله أنه إن مات وزيره في الحرب تزوج بزوجه، لما علم من حسناتها، فلا تُردُّ أيضاً لأن ما وقع منه ليس معصية، لكنه غير لائق بمقامه، ولذلك عوتب عليه، وبكى حتى نبت العشب من دموعه.

(١) وقوله جل وعلا ﴿يَجْعَلُ﴾ قاض بأنها غير مكتسبة، وإنما هي جعلٌ من الله تعالى وتخصيص لشخص معين لا يصلح غيره.

(٢) ما ذكره الشيخ رحمه الله تعالى ﴿بظنين﴾ بالظاء هو إحدى القراءات وأشهرها بالضاد.

كَمْ أَبْرَأْتُ وَصَبًّا بِاللَّمْسِ رَاحَتُهُ

(٨٦) وَأَطْلَقْتُ أَرِبًا مِنْ رُبْقَةِ اللَّمَمِ

وَأُخِيَتِ السَّنَةُ الشَّهْبَاءَ دَعْوَتُهُ

(٨٧) حَتَّى حَكَتْ غُرَّةً فِي الْأَعْصِرِ الدُّهْمِ

(٨٦) قوله « كَمْ أَبْرَأْتُ » إلخ أي كثيراً من المرات أبرأت إلخ ، وقوله « وَصَبًّا » بكسر الصاد : أي مريضاً ، وقوله « بِاللَّمْسِ » أي بسبب اللمس ، وأشار بذلك إلى ما روي من أن عين قتادة أصيبت يوم أحد ، ووقعت على وجنته ، فأتى رسول الله ﷺ وقال له : إن لي امرأة أحبها ، وأخشى أنها إن رأيتني على هذه الحالة قدرتني ، وارتفع حي من قلبها ، فأخذ النبي ﷺ عينه بيده ، وردها إلى موضعها وقال : اللهم أكسبها جمالا . فكانت أحسن عينيه ، وقوله « وَأَطْلَقْتُ » أي وحلت راحته ، وقوله « أَرِبًا » بفتح الهمزة وكسر الراء بوزن فرجاً ، أي ذا أرب وحاجة . وقوله « مِنْ رُبْقَةِ اللَّمَمِ » أي من عقدة الجنون ، ويصح تفسيره بالذنوب والمعاصي ، وأشار بذلك إلى ما روي من أن امرأة أتت للنبي ﷺ بابن لها به جنون ، فمسح بيده المباركة صدره ، فثبثته : أي قاء قيئة ، فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود ، وبرئ لوقته .
(٨٧) قوله « وَأُخِيَتِ السَّنَةُ الشَّهْبَاءَ » إلخ أي وأخصبت السنة الشهباء إلخ ، والشهباء قليلة المطر ، « دَعْوَتُهُ » أي دعاؤه بالسقيا . حَكَتْ : أشبهت ، وَغُرَّةً كل شيء : أحسنه ، وَالْأَعْصِر : جمع عصر ، وهو الزمن ، وَالْدُّهْمِ بضم الدال والهاء : جمع أدهم ، وهو الأسود ، وأشار بذلك إلى ما رواه الشيخان عن أنس « أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فقال : يا رسول الله هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله يُعْثِنَا ، فرفع رسول الله ﷺ يديه ، وقال : اللهم إِغْثِنَا (ثَلَاثًا) - وما نرى في السماء من سحب ولا قزع - فطلعت سحابة ثم أمطرت ، والله ما رأينا الشمس سَبْنَا (أي أسبوعاً) » .

بِعَارِضٍ جَادٍ أَوْ خِلْتُ الْبِطَاحَ بِهَا

(٨٨) سَيَّبُ مِنَ الْيَمِّ أَوْ سَيَّلَ مِنَ الْعَرَمِ

دَعْنِي وَوَصِّفِي آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ

(٨٩) ظُهُورَ نَارِ الْقَرْيَ لَيْلًا عَلَى عِلْمٍ

فَالْدَّرُ يَزْدَادُ حُسْنًا وَهُوَ مُنْتَظَمٌ

(٩٠) وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْرًا غَيْرَ مُنْتَظَمٍ

(٨٨) قوله « بعارض » أي أحيت السنة الشهباء دعوته بعارض ، والمراد بالعارض السحاب . وقوله « جاد » أي جاد بالمطر الكثير ، وقوله « أو خِلْتُ » أي أو ظننت ، وأو بمعنى إلى . « البطاح » جمع أبطح : وهو الوادي المتسع الذي فيه دقاق الحصى ، و « السيب » الجري ، واليم : البحر ، والعرم : بفتح العين وكسر الراء في الأصل : اسم لما يُمسك الماء من بناء وغيره ، وهو أيضاً اسم لواد ، فالناظر يتشكك في الماء الكثير الكائن على سطح الأرض ، هل هو سيب من البحر أو سيل من السد الذي تحطم .
(٨٩) دعني : أي اتركني وذكر آيات ، والمراد بالآيات المعجزات الدالة على نبوته ﷺ ، وقوله « له » أي آيات كائنة له ﷺ ظهور نار القرى : أي ظهرت ظهوراً مثل ظهور نار القرى بكسر القاف الذي هو الضيافة . وقوله « على علم » أي على جبل ، وقد جرت عادة الكرام من العرب بإيقاد تلك النار على الجبل ، ليهتدي الضيفان إلى منازلهم .
(٩٠) « فالدر » وهو اللؤلؤ يزداد حسناً والحال أنه منتظم في السلك لترتيبه وتنزيله في المنازل المتناسبة ، وليس ينقص قدراً حال كونه غير منتظم ؛ لأن حسنه ذاتي له .

فَمَا تَطَاوُلُ آمَالِي الْمَدِيحِ إِلَى

مَا فِيهِ مِنْ كَرَمِ الْأَخْلَاقِ وَالشِّيمِ (٩١)

آيَاتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثَةٌ

قَدِيمَةٌ صِفَةُ الْمُوصُوفِ بِالْقَدَمِ (٩٢)

لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمَانٍ وَهِيَ تُخْبِرُنَا

عَنِ الْمَعَادِ وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرَمِ (٩٣)

- (٩١) قوله « فَمَا تَطَاوُلُ » إلخ « ما » نافية ، والتطاول في الأصل مدّ العنق ، والآمال جمع أمل ، وهو الرجاء ، والمديح هو الشاء الحسن ، وقوله « إِلَى مَا فِيهِ » أي إلى استقصاء ما فيه ﷺ ، والأخلاق جمع خلق بضمين ، وهو الطبيعة ، والشيم : جمع شيمة ، وهي الخلق بضمين .
- (٩٢) قوله « آيَاتُ حَقٍّ » أي من معجزاته ﷺ آيَاتُ حَقٍّ ، أي آيَاتُ موصوفة بأنها حق ، هي القرآن . وقوله « مِنَ الرَّحْمَنِ » أي من عند الرحمن لا من عند محمد ، كما زعم كفار قريش . وقوله مُحَدَّثَةٌ أي أحدثها الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٌ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾ [الشعراء : ٥] ، وقوله : « قَدِيمَةٌ » استشكل بأنه ينافي قوله مُحَدَّثَةٌ ، وأجيب بأنها مُحَدَّثَةٌ باعتبار الألفاظ ، قديمة باعتبار المعاني ، وبهذا كله ظهر قوله « صِفَةُ الْمُوصُوفِ بِالْقَدَمِ » فليس المراد أن الألفاظ التي نقرأها صفة للموصوف بالقدم ، الذي هو الله تعالى ؛ لأنها حادثة ، بل المراد أن معناها صفة له تعالى .
- (٩٣) « لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمَانٍ » أي لأنها قديمة من حيث معناها ، والزمان حادث ، وقوله « وَهِيَ » أي هذه الآيات ، وقوله « تُخْبِرُنَا عَنِ الْمَعَادِ » أي عن عَوْدِ الخلق بعد انعدامهم ، وقوله « عَنِ عَادٍ » أي وتُخْبِرُنَا عَنْ قَبِيلَةِ عَادَ ، التي بُعِثَ إليها هود عليه الصلاة والسلام ، ويقال لهم أيضاً : إِرَمَ ، =

دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجَزَةٍ

(٩٤) مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدْمِ

وَمُحْكَمَاتٌ فَمَا تُبْقِينَ مِنْ شَبِّهِ

(٩٥) لِذِي شِقَاقٍ وَمَا تَبْغِينَ مِنْ حَكَمٍ

= تسمية باسم جدهم إرم ، وقيل إن إرم اسم أرضهم وبلدتهم ، وقيل : إنها مدينة بناها شداد بن عاد لبنة من فضة وأخرى من ذهب ، في صحن عدن ، وجعل فيها أنهاراً مطردة ، وأصنافاً من الشجر ، وأتم بناءها في ثلثمائة سنة ، وعند كمالها ارتحل إليها بأهل مملكته ، فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة ، بعث الله عليهم صيحة من السماء ، فأهلكتهم . وقوله « وعن إرم » بكسر الهمزة تسمى عادة الأخرى .
(٩٤) « دامت لدينا » أي الآيات استمرت عندنا ، فتسبب عن ذلك أنها فاقت كل معجزة صادرة من النبيين غير نبينا ﷺ . « إذ جاءت ولم تدم » أي إذ جاءت عنهم ولم تستمر ، بل لم تظهر على أيديهم إلا مرة واحدة ، وذلك حين التحدي ، ثم لم تظهر بعد ذلك ، وإليه أشار ﷺ بقوله : « ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيت وحياً يُتلى » ، فشريعته باقية إلى يوم الدين ، فناسب أن تكون معجزته كذلك .

(٩٥) « محكمات » أي والآيات المذكورة محكمات ، ومعنى محكمات : متقنات النظم في البلاغة والفصاحة ، أو أن معنى محكمات : ذوات حكمة . وقوله « فما تبقين من شبه لذي شقاق » أي فما تترك تلك الآيات المحكمات شبهاً لصاحب شقاق ، وهو الكافر ؛ لأنه مشاق الدين ، والشبه : جمع شبهة ، وهي ما يُظن دليلاً وليس بدليل . « وما تبغين من حكم » بفتح التاء أي ولا تطلبن حكماً ، يعني حاكماً يحكم على ذلك المخالف للحق بأنه على خلاف الصواب لظهور براهينها عليه . و « ما » نافية في الموضعين .

مَا حُورِبَتْ قَطُّ إِلَّا عَادَ مِنْ حَرْبٍ

أَعْدَى الْأَعَادِي إِلَيْهَا مُلْقِيَ السَّلَامِ (٩٦)

رَدَّتْ بِلَاغَتُهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا

رَدَّ الْغَيُورِ يَدَ الْجَانِي عَنِ الْحَرَمِ (٩٧)

لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِي مَدَدٍ

وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالْقِيمِ (٩٨)

(٩٦) « ما حوربت » إلخ أي ما حورب الآتي بها - وهو النبي ﷺ في الزمن الماضي - إلا كان النبي ﷺ هو الغالب ، ورجع أشد الأعداء عداوة إليه ملقي السلاح ، وسلم له ﷺ إما بدخوله في الإسلام ، وإما بتركه المحاربة من أجل شدة بلاغتها . ويحتمل أن المراد بالمحاربة المعارضة و « من » فيه بمعنى من أجل . وحقيقة الحرب بفتح الحاء : سلب المال ، لكن المراد به هنا الشدة أي شدة بلاغتها . « أعدى الأعداء » أشد الأعداء عداوة ، ومعنى السَّلَام بفتح السين : السلاح .

(٩٧) « ردت بلاغتها » أبطلت بلاغتها دعوى معارضتها ، كما وقع لمسيمة الكذاب ، حيث عارض - لعنه الله - القرآن لما ادعى النبوة ، وأراد أن يأتي بقرآن يشبه القرآن ، فقال في معارضة سورة النازعات : « والطاحنات طحناً ، والعاجنات عجنناً ، والخابزات خبزاً » . قوله « رد الغيور » أي رداً مثل رد الشخص الغيور الذي هو شديد الغيرة على النساء ، والحرم بضم الحاء وفتح الراء : جمع حرمة ، كأمراته وأخته وغيرهما . وظاهر كلام المصنف أن إعجاز القرآن للبشر عن الإتيان بمثله سببه ما اشتمل عليه من البلاغة التي لم يصلوا إليها ، وعلى ذلك فالقرآن ليس من جنس مقدورهم ، وهو قول الجمهور .

(٩٨) « لها معانٍ إلخ » أي لتلك الآيات معانٍ كثيرة لا نهاية لها . « كموج البحر في مدد » أي مثل موج البحر في كونه يمد بعضه بعضاً ؛ إذ ما من موجة إلا وبعدها موجة ، وأشار بذلك إلى قول بعضهم : أقل ما قيل في =

فَلَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى عَجَائِبُهَا

(٩٩) وَلَا تُسَامُ عَلَى الْإِكْثَارِ بِالسَّامِ

قَرَّتْ بِهَا عَيْنٌ قَارِيهَا فَقُلْتُ لَهُ

(١٠٠) لَقَدْ ظَفَرْتَ بِحَبْلِ اللَّهِ فَاَعْتَصِمِ

= العلوم التي في القرآن من ظواهر المعاني المجموعة فيه أربعة وعشرون ألف علم ، وثمانائة علم ، وما حُكي عن بعضهم من أنه قال : لكل آية ستون ألف فهم ، وما بقي من فهمها أكثر . وقوله « **فوق جوهرة في الحسن والقيم** » أي ولها معان فوق الجواهر المستخرج من البحر في حسنها البديع ، وفي قدرها وشرقها ، **والقيم** : بكسر القاف وفتح الياء جمع قيمة ، والمراد بها هنا ما لها من القدر والشرف مجازاً .

(٩٩) « **عجائبها** » أي معانيها العجيبة ، جمع عجيبة ، وهي الشيء العديم النظير أو قليله ، وقوله « **ولا تسام** » أي لا توصف ، وقوله « **على الإكثار** » أي مع الإكثار منها الذي لا غاية له ، وقوله « **بالسام** » أي الملل . وحاصل المعنى أنه إذا كان لها معان كموج البحر في الكثرة التي لا غاية لها ، ولا توصف بالملل مع الإكثار منها لحسنها ، فغيرها من الكلام ولو بلغ الغاية فيما يليق به من الحسن والبلاغة يوصف بالملل مع الإكثار منه بخلاف آيات القرآن .

(١٠٠) « **قَرَّتْ بها** » أي سكنت واطمأنت بتلك الآيات عين **قاريها** قارئها لحصول السرور لها ؛ فإن عين الحزين تكون مضطربة ، وعين المسرور تكون ساكنة ، وقيل قرَّت من القرَّ بضم القاف وهو البرد ، والمعنى : بردت بدمعة الفرح ، ولم تسخن بدمعة الحزن عين قارئها . وقوله « **لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم** » أي والله لقد فزت بما يوصلك إلى الله ، فامتنع ببركة قراءته من عذاب الله ، أو امتنع باتباع أوامره واجتناب نواهيه من الوقوع في المخالفة المؤدية إلى عقاب الله تعالى .

إِنْ تَتْلُهَا خِيفَةً مِنْ حَرِّ نَارٍ لَطَّى

(١٠١) أَطْفَأَتْ حَرَّ لَطَّى مِنْ وَرْدِهَا الشَّبِيمِ

كَأَنَّهَا الْحَوْضُ تَبْيِضُّ الْوَجْوهُ بِهِ

(١٠٢) مِنَ الْعَصَا وَقَدْ جَاءَوهُ كَالْحَمَمِ

وَكَالصَّرَاطِ وَكَالْمِيزَانِ مَعْدَلَةً

(١٠٣) فَالْقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمْ

(١٠١) قوله « إِنْ تَتْلُهَا » إلخ أي إِنْ تَقْرَأُهَا إلخ ، وقوله « خِيفَةً » أي خوفاً ، وقوله « مِنْ حَرِّ نَارٍ لَطَّى » أي التي هي جهنم ، وقوله « مِنْ وَرْدِهَا » : الورد بمعنى المورد ، وهو الحبل الذي يورد منه الماء ، وقوله « الشَّبِيمِ » بفتح الشين وكسر الموحدة : أي البارد ، فالماء يطفئ حرارة العطش ، والآيات تطفئ حرارة نار جهنم أعادنا الله منها بمره وكرمه .

(١٠٢) قوله « كَأَنَّهَا الْحَوْضُ » إلخ أي كَانَ الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةُ مَاءَ الْحَوْضِ ، وقوله « الْوَجْوهُ » أي ذُورُ الْوَجْوهِ ، وقوله « بِهِ » أي بِالْحَوْضِ ، وقوله « مِنَ الْعَصَا » أي حَالُ كَوْنِهِمْ بَعْضُ الْعَصَا ، فَمِنْ لِلتَّبْيِضِ . وقوله « وَقَدْ جَاءَوهُ » والضمير الفاعل راجع للعصاة ، والضمير المفعول راجع للحوض . وقوله « كَالْحَمَمِ » أي حَالُ كَوْنِهِمْ كَالْحَمَمِ ، فَالْحَمَمُ جَمْعُ حُمَةٍ بِمَعْنَى فَحْمَةٍ ، وَوَجْهٌ تَشْبِيهٌ بِالْحَوْضِ الْمَذْكُورِ أَنَّ الْآيَاتِ تَشْفَعُ فِي تَالِيهَا وَقَدْ جَاءَ مَسُودٌ الْوَجْهَ مِنَ الْمَعَاصِي ، فَيَبْيِضُ وَجْهَهُ بِشَفَاعَتِهَا ، كَمَا أَنَّ الْحَوْضَ تَبْيِضُ بِهِ وَجْوهُ الْعَصَا حِينَ يُصَبُّ عَلَيْهِمْ مِنْهُ بَعْدَ مَجِيئِهِمْ مِنَ النَّارِ كَالْفَحْمِ فِي السَّوَادِ الَّذِي أَصَابَهُمْ مِنَ النَّارِ ، فَيَعُودُونَ بَيَضًا كَالْقِرَاطِيسِ ، ثُمَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ .

(١٠٣) قوله « وَكَالصَّرَاطِ » إلخ أي وَهَذِهِ الْآيَاتِ كَالصَّرَاطِ اسْتِقَامَةً . والمراد بالصراط : الدين الذي لا اعوجاج فيه ، أو المراد به الجسر الممدود على متن جهنم . وقوله « وَكَالْمِيزَانِ مَعْدَلَةً » أي وَكَالْمِيزَانِ =

لَا تَعَجِبَنَّ لِحُسُودٍ رَاحَ يُنْكِرُهَا

(١٠٤) تَجَاهُلًا وَهُوَ عَيْنُ الْحَازِقِ الْفَهْمِ

قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ

(١٠٥) وَيُنْكِرُ الْفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمٍ

يَا خَيْرَ مَنْ يَمَمَ الْعَافُونَ سَاحَتَهُ

(١٠٦) سَعِيًّا وَفَوْقَ مُتُونِ الْأَيْنِقِ الرَّسْمِ

= جهة العدل ، فمعدلة بمعنى عدلاً ، هو الميزان الذي يكون في يوم القيامة .
وقوله « **فالقسط من غيرها في الناس لم يقم** » أي فالقسط بكسر القاف ،
الذي هو العدل المأخوذ من غير هذه الآيات لم يقم في الناس .

(١٠٤) قوله « **لا تعجب** » أي لا ينبغي العجب ؛ لأنه إذا ظهر السبب بطل
العجب ، وها هنا قد ظهر السبب وهو الحسد . وقوله « **راح ينكرها** »
أي ذهب ينكر كونها من عند الله ، وقوله « **تجاهلاً** » أي حال كونه
متجاهلاً ، أي مُظهراً للجهل . وقوله « **وهو عين الحاذق الفهم** » أي
والحال أنه عين **الحاذق** أي الماهر ، **الفهم** : بفتح الفاء وكسر الهاء : أي
الشديد الفهم ، وحينئذ فإنكارها عناد دعاه إليه الحسد .

(١٠٥) لما ادعى أن إنكارها للحسد مع كونها متصفة بالمعجزات المذكورة ،
أثبت ذلك بأمرين محسوسين : الأول إنكار العين ضوء الشمس من
أجل الرمد القائم بها ، والثاني إنكار الفم طعم الماء من أجل السقم القائم
به ، فكذلك إنكار الآيات من أجل الحسد القائم بالمنكر .

(١٠٦) « **يا خير من يمم...** » أي يا خير كريم يقصد العافون ، وهم الطالبون
للمعروف بساحته ، و**العافون** : جمع عاف ، وهو طالب المعروف ، و**الساحة** :
حریم الدار الواسع ، و**سعيًّا** : بمعنى ساعين . و**المتون** : جمع =

وَمَنْ هُوَ الْآيَةُ الْكُبْرَى لِمُعْتَبِرٍ

(١٠٧) وَمَنْ هُوَ النِّعْمَةُ الْعُظْمَى لِمُغْتَنِمٍ

سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلًا إِلَى حَرَمٍ

(١٠٨) كَمَا سَرَى الْبَدْرُ فِي دَاغٍ مِنَ الظُّلَمِ

= متن وهو الظاهر ، والأيق : جمع ناقة ، وأصله أنوق قدّمت الواو على النون فصار أنوق ، ثم قلبوها ياءً فصار أيق . والرسم : بضم الراء المشددة وضم السين جمع رسوم ، وهي الناقة التي تؤثر في الأرض من شدة الوطء عليها .

(١٠٧) قوله « ومن هو » إلخ أي ويا من هو إلخ ، ف « من » هنا واقعة عليه ﷺ وحده . وقوله « الآية الكبرى لمعتبر » أي الآية الكبرى التي هي أكبر الآيات لتأمل ومتفكر ، أي الدليل الأعظم على أن ما جاء به حق . وقوله « ومن هو » إلخ أي ويا من هو إلخ ، وقوله « النعمة العظمى لمغتني » أي النعمة العظمى التي هي أعظم النعم لمن يريد أن يغتنم ما عند الله من السعادة الأبدية ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] .

(١٠٨) قوله « سریت » إلخ كأنه قال : ومن معجزاتك أنك سریت إلخ ، سریت : سرت ليلاً . وقوله « من حرم » أي حرم مكة . وقوله « ليلاً » أي في ليل ، وإنما خُص الليل بذلك دون النهار ؛ لأنه وقت تفرغ البال ، وقطع العلائق ، وقيل : لأن الله تعالى لما محّا آية الليل وجعل آية النهار مبصرة انكسر خاطر الليل ، فجبر بأن أسري فيه بمحمد ﷺ . وقوله « إلى حرم » أي حرم بيت المقدس ، وقوله « كما سرى البدر » أي مثل سير البدر الذي هو القمر ليلة كماله ، وهي ليلة أربعة عشر ، والداجي : اسم ليل المظلم ، يقال دجا الليل ، أي أظلم ، فهو داج ، أي مظلم ، فقوله « من الظلم » تكملة أي من ذي الظلم ، جمع ظلمة ، وفي هذا البيت إشارة إلى قصة الإسراء ، وقد =

وَبَيْتَ تَرَقَّى إِلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً

مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرِكَ وَلَمْ تُرَمَّ (١٠٩)

وَقَدَّمْتُكَ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا

وَالرُّسُلُ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمٍ (١١٠)

= ذكرها الله تعالى بقوله : ﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ [الإسراء: ١] .

(١٠٩) أي وبعد وصولك إلى بيت المقدس بت ترقى أي تصعد ؛ فإنه ﷺ نُصِبَ له معراج له مرقاة فصعد عليها إلى سماء الدنيا ، فلما جاوز السماء الأولى دُلِّيت المرقاة فصعد عليها إلى السماء الثانية ، وهكذا إلى السماء السابعة ، ثم إلى الكرسي ، ثم إلى سدة المنتهى ثم إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام ، ثم دُلِّيَ له الرفرف ، وهو سحابة خضراء ، فصعد عليها إلى ما شاء الله تعالى . وقوله : « **إلى أن نلت منزلة** » أي إلى أن أعطيت مرتبة في القرب . وقوله « **من قاب قوسين** » ، والأصل من قَابِي قوس ؛ لأن كل قوس له قابان [القاب : ما بين المقبض وطرف القوس] ، وبينهما شيء قليل جداً ، فبينهما غاية القرب ، فكذلك بينه ﷺ وبين الله ، فبينهما غاية القرب ، لكن المراد هنا القرب المعنوي ، وقوله « **لم تدرك** » أي لم يدركها غيرك ، وقوله « **ولم ترم** » أي لم يرُمها غيرك ولم يطلبها ؛ للعلم بأنها ليست إلا لك ، وفي هذا البيت إشارة إلى قصة المعراج ، وقد ذكرها الله تعالى بقوله : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى .

(١١٠) قوله « **بها** » أي بتلك المنزلة ، وقوله « **الرسل** » أي وجميع الرسل ، وقوله « **تقديم مخدوم على خدم** » أي تقديمًا مثل تقديم مخدوم على خدم .

وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطَّبَاقَ بِهِمْ

(١١١) فِي مَوْكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ الْعِلْمِ

حَتَّى إِذَا لَمْ تَدْعُ شَاوَأَ الْمُسْتَبِقِ

(١١٢) مِنَ الدُّنُوِّ وَلَا مَرْقَى الْمُسْتَنِمِ

خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِالْإِضَافَةِ إِذْ

(١١٣) نُودِيَْتَ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الْعِلْمِ

(١١١) قوله « وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ » بمعنى تقطع السموات السبع الطباقي ، أي التي هي

طبقة فوق طبقة . وقوله « بِهِمْ » أي حال كونك ماراً بالأنبياء ، ففي حديث

الإسراء في صحيح مسلم « أنه مر في السماء الدنيا بآدم ، وفي الثانية بعبسى

ويحيى ، وفي الثالثة بيوسف ، وفي الرابعة بإدريس ، وفي الخامسة بهارون ،

وفي السادسة بموسى ، وفي السابعة بإبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم

أجمعين . وقوله « فِي مَوْكِبٍ » : الموكب : الجمع العظيم المتلبس بهيئة عظيمة ،

وقد كان معه ﷺ جبريل . وجملة « كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ الْعِلْمِ » : أي كنت فيه

المشار إليه ؛ لأن العلم الرمح في رأسه راية ، ومن شأن صاحبه أن يشار إليه ،

وكان جبريل يستفتح في كل سماء فيقال له : ومن معك ؟ فيقول : محمد .

(١١٢) قوله « لَمْ تَدْعُ شَاوَأَ الْمُسْتَبِقِ » أي لم تترك غاية لطالب سبق ، و « شَاوَأَ »

أي غاية ، والمستبق : طالب السبق . « مِنَ الدُّنُوِّ » أي من القرب .

وقوله « وَلَا مَرْقَى الْمُسْتَنِمِ » المرقى : محل الرقي ، وهو الدرجة ،

والمستنم : طالب الرفعة وهو الساعي ليرتفع .

(١١٣) قوله : « خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ » أي خفضت كل رتبة لغيرك ، وقوله

« بِالْإِضَافَةِ » أي بالنسبة إلى مقامك لا مطلقاً ، وإلا فالأنبياء كلهم

متصفون بالكمال ، لكنه ﷺ أكمل ؛ فمقام غيره منخفض بالنسبة لمقامه =

كَيْمَا تَفُوزَ بِوَضَلِ أَيِّ مُسْتَتِرٍ

عَنِ الْعَيُونِ وَسِرِّ أَيِّ مُكْتَتَمٍ (١١٤)

فَحُزَّتْ كُلُّ فَخَارٍ غَيْرِ مُشْتَرَكٍ

وَجُزَّتْ كُلُّ مَقَامٍ غَيْرِ مُزْدَحَمٍ (١١٥)

= المرتفع عن مقام كل مخلوق ، وإياك أن تعتقد أن غيره ﷺ من الأنبياء ليس متصفاً بالكمال ؛ لأن ذلك كفر . وقوله « **إذ نوديت بالرفع** » أي لأنك نوديت من قبل الله تعالى نداءً مصحوباً برفع شأنك إلى ما لم يصله أحد غيرك . قوله : « **مثل المفرد العلم** » فكما أن المفرد العلم خُصَّ بكونه نودي نداءً مصحوباً بالرفع من بين أقسام المنادى ؛ فإن ما عداه منها منصوب ، كذلك ﷺ خُصَّ بكونه نودي نداءً مصحوباً بالرفع من بين سائر الأنبياء ، والمراد بالمفرد العلم : المعرفة .

(١١٤) قوله « **كَيْمَا تَفُوزَ** » فالمعنى فعلت ذلك لأجل أن تفوز إلخ ، وقوله « **أي مستتر عن العيون** » : أي وصل كامل في الاستتار عن العيون . وقوله « **وسر أي مكتتم** » : أي سر كامل في الاكتتام عن الخلق ، وهذا مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ [النجم: ١٠] ، كما يدل على ذلك حديث عائشة - رضي الله تعالى عنها - حيث قالت : يا رسول الله ما الذي أوحى إليك ربك إذ قال فأوحى إلى عبده ما أوحى ؟ قال : يا عائشة أتريدين أن تعلمي ما لا يعلمه جبريل ولا ميكائيل ولا نبي مرسل ولا ملك مقرب ؟! (إلى آخر الحديث) .

(١١٥) قوله « **فحزت** » الحيازة : الجمع ، فمعنى حزت جمعت ، والفخار : هو ما يُفتخر به من الفضائل ، وقوله « **غير مشترك** » أي بينك وبين غيرك ، بل هو مختص بك ، وقوله « **وجزت** » : أي عبرت وتجاوزت ، وقوله « **كل مقام** » : المقام : الرتبة ، وقوله « **غير مزدحم** » بفتح الحاء أي غير مزدحم فيه لعدم الواصلين إليه .

- وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا أُؤْتِيَ مِنْ رُتَبٍ
 (١١٦) وَعَزَّ إِذْرَاكَ مَا أُؤْتِيَ مِنْ نِعَمٍ
 بُشِّرَى لَنَا مَعَشَرَ الْإِسْلَامِ إِنَّ لَنَا
 (١١٧) مِنَ الْعِنَايَةِ رُكْنًا غَيْرَ مُنْهَدِمٍ
 لَمَّا دَعَا اللَّهُ دَاعِينَا لِطَاعَتِهِ
 (١١٨) بِأَكْرَمِ الرُّسُلِ كُنَّا أَكْرَمَ الْأُمَمِ
 رَاعَتْ قُلُوبَ الْعِدَا أَنْبَاءُ بَعْثَتْهُ
 (١١٩) كِتَابَةً أَجْفَلَتْ عُقْلًا مِنَ الْغَنَمِ

(١١٦) قوله « **جل** » إلخ أي عظم ، وقوله « **ما وليت** » بالبناء للمفعول أي ما ولاك الله . **والرتب** : المناصب الشريفة . وقوله « **عز** » : أي امتنع ذلك ، فلا يحصل لأحد غيرك . وقوله « **ما أوليت** » بالبناء للمفعول ، أي ما أولاك مولاك أي أنعم عليك .
 (١١٧) قوله « **بشرى لنا** » إلخ أي هذه المناقب بشرى لنا إلخ . وقوله « **إن لنا من العناية ركنًا غير منهدم** » أي إن لنا جميع المسلمين من أجل العناية بنا في الأزل شريعة غير متغيرة بالنسخ . أماننا الله على سنته ، واتباع ملته بمنه وفضله ورحمته .
 (١١٨) قوله « **لما دعا الله** » إلخ أي لما سمى الله ، وفي التنزيل : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] ، والمعنى عليه : لما دعانا الله وهو داعينا لطاعته بواسطة أكرم الرسل ، كنا أكرم الأمم ، والأول أقرب كما لا يخفى .
 (١١٩) قوله « **راعت** » إلخ أي أفزعت ، **وقلوب** : أي أصحاب قلوب ، **والعدا** : بالكسر والقصر جمع عدو ، والمراد بهم الكفار ، والمراد **بأنباء بعثته** =

مَا زَالَ يَلْقَاهُمْ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ

(١٢٠) حَتَّى حَكَّوْا بِالْقَنَائِحِ عَلَى وَضْمٍ

وَدُّوا الْفَرَارَ فَكَادُوا يَغْبِطُونَ بِهِ

(١٢١) أَشْلَاءَ شَالَتْ مَعَ الْعُقْبَانِ وَالرَّخَمِ

= أخبارها التي صدرت من الكهان والأخبار وغيرهم ، كقولهم : إنه سيظهر دين يغلب كل دين . وقوله : « كُنْبَةٌ » أي مثل نبئة أي زارة الأسد ، وجملة أجفلت : أي أفرغت صفة لنبئة ، و غفلا : جمع غافل .

(١٢٠) قوله « ما زال » إلخ أي لم ينفك ﷺ عن كونه يلقيهم بنفسه تارة ، ويخيله ورجله أخرى ، في كل معترك وقع بينه ﷺ وبينهم ، والمعترك بفتح الراء : محل الاعتراك ، أي الازدحام للحرب . وقوله « حكوا » شابهوا ، وقوله « بالقنا » أي بطعن القنا ، والقنا : جمع قناة وهي الرمح ، والوضم بالضاد المعجمة : ما يضع القصاب اللحم عليه ، معداً لمن يأخذه ، وهو المسمى بالطبلية ، وقيل : إنه الحديد الذي يُغرز فيه اللحم حين يُشوى ليؤكل .

(١٢١) قوله « ودوا الفرار » إلخ أي تمنوا الهرب منه ﷺ ، وقوله « فكادوا يغبطون به أشلاء شالت مع العقبان والرخم » أي فلتمنيتهم ذلك قربوا من أن يغبطوا بذلك الفرار ، أشلاء : أي أعضاء شالت : أي ارتفعت حال كونها مع العقبان . العقبان : جمع عقاب (قال في القاموس : والعُقاب - بضم العين - طائر جمعه أعقب وعقبان - بكسر العين) ، وهو نوع من الطير ، ومع الرخم جمع رخمة ، وهي نوع من الطير أيضاً ، وإنما خص هذين النوعين لعظم ارتفاعهما دون غيرهما . والغبطة : هي تمني الشخص أن يحصل له مثل ما حصل لغيره . وأشلاء : جمع شلو بكسر الشين وسكون اللام وهو العضو من اللحم .

تَمْضِي اللَّيَالِي وَلَا يَدْرُونَ عِدَّتَهَا

(١٢٢) مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيَالِي الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ

كَأَنَّمَا الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ سَاحَتَهُمْ

(١٢٣) بِكُلِّ قَرْمٍ إِلَى لَحْمِ الْعِدَا قَرِمٍ

يَجْرُ بِحَرْ خَمِيسٍ فَوْقَ سَابِجَةٍ

(١٢٤) يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الْأَبْطَالِ مُلْتَطِمٍ

(١٢٢) قوله « **تمضي الليالي** » إلخ أي تمر عليهم الليالي بأيامها ، والحال أنهم لا يعلمون عددها من شدة ما دخل في قلوبهم من الفزع ، وقوله « **ما لم تكن من ليالي الأشهر الحرم** » أي ما لم تكن تلك الليالي من ليالي الأشهر الحرم التي هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ؛ لإمساك النبي والمؤمنين عن جهادهم في الأشهر الحرم .

(١٢٣) قوله « **كأنما الدين** » إلخ أي كأنما دين الإسلام ضيف حلّ ونزل ساحة الكفار ، وقوله « **بكل قرم** » بفتح القاف وسكون الراء : أي مع كل شجاع ، وقوله « **إلى لحم العدا قرم** » بفتح القاف وكسر الراء : أي شديد الشهوة إلى لحم العدا للمسلمين .

(١٢٤) قوله « **يجر** » إلخ أي يستبغ هذا القرم الذي هو الشجاع ، وقوله « **بحر خميس** » أي خميس كالبحر في تموجه وإهلاكه الكفار ، والخميس هو الجيش العظيم ، سمي بذلك لأنه مركب من خمس قوائم : مقدمة ، وميمنة ، وميسرة ، وساقة ، وقلب . وقوله « **فوق سابجة** » أي كائن فوق خيل سابجة : أي مسرعة في طلب الكفار كالسابع في البحر . والأبطال : جمع بطل ، وهو الشجاع ، وقوله « **ملتطم** » صفة لموج ، أي ملتطم بعضه ببعض .

مِنْ كُلِّ مُتَدَبِّ لِّلَّهِ مُحْتَسِبٍ

(١٢٥) يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِّلْكَفْرِ مُضْطَلِمٍ

حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ وَهِيَ بِهِمْ

(١٢٦) مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مَوْصُولَةُ الرَّحِمِ

(١٢٥) قوله « مِنْ كُلِّ مُتَدَبِّ » أي من كل مجيب ، وقوله « مُحْتَسِبٍ » أي مدخر ثواب عمله عند الله ، وقوله « يَسْطُو » أي يصول ، وقوله « بِمُسْتَأْصِلٍ لِّلْكَفْرِ » أي بآلة مستأصلة لأهل الكفر ، أي مزيل لهم من أصلهم ، وقوله « مُضْطَلِمٍ » أي مهلك لهم .

(١٢٦) غَدَتْ بمعنى صارت ، وقوله « وَهِيَ بِهِمْ » أي وهي مصحوبة بالصحابة ، وقوله « مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا » والمراد بغربتها عدم شهرتها وقلة من ينتمي إليها ، وقوله « مَوْصُولَةُ الرَّحِمِ » : أي كثرة القيام بحقوقها بسبب كثرة من ينتمي إليها ، وأشار بذلك إلى حديث مسلم « بدأ الإسلام غريباً » . (رواه مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة ، والترمذي وابن ماجه عن عبد الله بن مسعود ، وابن ماجه عن أنس ، والطبراني عن سيدنا سلمان وسهل بن سعد وابن عباس) . وروى البيهقي في شعب الإيمان عن شريح بن عبيد مرسلاً : « إن الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود غريباً ، فطوبى للغرباء ، ألا إنه لا غربة على مؤمن ، ما مات مؤمن في أرض غربة غابت عنه بواكيه إلا بكى عليه السماء والأرض » ورواه ابن جرير ، وابن أبي الدنيا إلا أن روايتهما : « ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴾ » ثم قال : إنهما لا يبيكان على كافر » وهو مروي عن أنس وجابر ، وسعد بن أبي وقاص ، وسهل بن سعد ، وسلمان وابن عباس ، وابن عمر ، وابن مسعود ، وعمر ، وعلي ، وعمرو بن عوف ، ووائل ، وأبي أمامة ، وأبي الدرداء ، وأبي سعيد ، وأبي موسى وغيرهم ، فهو مشهور أو متواتر ، كذا من « كشف الخفاء » للعجلوني .

- مَكْفُولَةٌ أَبَدًا مِنْهُمْ بِخَيْرِ أَبِي
(١٢٧) وَخَيْرِ بَعْلِ فَلَمْ تَيْتَمْ وَلَمْ تَرْمِ
هُمْ الْجِبَالُ فَسَلَّ عَنْهُمْ مُصَادِمُهُمْ
(١٢٨) مَاذَا رَأَى مِنْهُمْ فِي كُلِّ مُصْطَدَمٍ
وَسَلَّ حُنَيْنًا وَسَلَّ بَدْرًا وَسَلَّ أَحَدًا
(١٢٩) فَصُورٌ حَتَفٍ لَهُمْ أَذْهَى مِنَ الْوَحْمِ

(١٢٧) قوله « مكفولة » إلخ أي محفوظة ، وقوله « أبداً » أي إلى الأبد ، وقوله « منهم » أي من الكفار ، وقوله « بخير أب وخير بعل » هو النبي ﷺ ، فإنه أشفق على أمته من الأب على أولاده ، وأقوم بمصالحهم من البعل على زوجاته (ولذلك قال رسول الله ﷺ : « أنا أولى بالمؤمنين في كتاب الله ، فأياكم ما ترك ديناً أو ضيعة فادعوني فانا وليه ، وأياكم ما ترك مالا فليؤثر بماله عصيته من كان » رواه مسلم . ويشير ﷺ بقوله « في كتاب الله » إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب الآية ٦ : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ ، وقوله « فلم تيتم » أي من جهة الأب ، وقوله « ولم ترم » أي من جهة البعل ، يقال : تيم الولد إذا مات أبوه وهو صغير ، ويقال : أمت المرأة تقيم كباعت تباع : إذا خلت من زوجها .

(١٢٨) قوله : « هم الجبال » أي هم كالجبال في الشمم والصلابة ، وقوله « فسَلَّ عنهم مصادمهم » أي من صادمهم من أعدائهم ، وقوله « ماذا رأى منهم » أي من الشدة ، وقوله « في كل مصطدم » بفتح الدال ، هي الأماكن التي التقوا فيها مع أعدائهم .

(١٢٩) قوله « وسَلَّ حُنَيْنًا » إلخ أي وسَلَّ زمن غزوة حنين ، وسَلَّ زمن غزوة بدر ، وسَلَّ زمن غزوة أحد . ومعنى قوله « فصول حَتَفٍ لهم » أزمنة موت للكفار ، وقوله « أذهى من الوحم » أي أشد داهية عليهم لما يصيبهم فيها من الوحم الذي هو الوباء . وكانت غزوة حنين بعد فتح مكة سنة ثمان ، وهو =

المُصْدِرِي البِيضَ حُمْرًا بَعْدَ مَا وَرَدَتْ

(١٣٠) مِنْ الْعِدَا كُلِّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللَّمَمِ

وَالكَاتِبِينَ بِسْمِ الْخَطِّ مَا تَرَكْتُ

(١٣١) أَقْلَامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرِ مَنْعَجٍ

= اسمٌ لواء بين مكة والطائف ، وفيه التقى رسول الله ﷺ والمسلمون مع المشركين ، فانهزم الكفار ، وكانت غزوة بدر من غير قصد من المسلمين إليها في يوم الجمعة سنة ثنتين ، وقتل فيها من صناديد قريش سبعون ، وأسير منهم سبعون ، وكانت غزوة أحد في شوال سنة ثلاث ، وهو اسمٌ لجبل بالمدينة ، واستشهد فيها من المسلمين سبعون ، منهم حمزة ، وقتل من المشركين اثنان وعشرون رجلاً ، والحرب سجال ، واحدة لنا ، وواحدة علينا .

(١٣٠) قوله « المصدري البيض » ، والمصدرين جمع مصدر بضم الميم ، مع أصدر عن الماء : رجع ، والمراد من البيض السيوف المصقولة . وقوله « حمراً » أي من الدماء التي خالطتها ، وقوله « بعد ما وردت » أي بعد ورودها ، وقوله « من اللمم » أي الشعر المجاور شحمة الأذن ، فاللمم بكسر اللام : جمع لمة ، وهي الشعر المذكور . فحاصل المعنى : أمدح الصحابة الذين أصدروا أي أرجعوا السيوف البيض حال كونها حمراء من الدماء بعد ورودها كل شخص مسود اللمم ، حال كونه من العدا ، وفي ذلك دليل على شجاعة الصحابة - رضي الله عنهم - حيث لا يرضون إلا بقتل سود اللمم من العدا ، وهم الشبان في الغالب .

(١٣١) المراد بسمر الخط : الرماح الخطية^(١) فالسمر جمع أسمر ، وهو الرمح ، والخط شجرة تتخذ منها تلك الرماح ، وقيل : موضع باليمامة تجلب إليه تلك الرماح من الهند . وقوله « ما تركت أقلامهم حرف جسم غير منعجم » =

(١) الرماح الخطية : نسبة إلى مرفأ للسفن في البحرين تباع به الرماح ، قال في القاموس : « ومرفأ السفن بالبحرين ، وإليه نسبت الرماح لأنها تباع به ، لا إنه منبتها » .

شَاكِي السِّلَاحِ لَهُمْ سِيْمَا تُمَيِّزُهُمْ

(١٣٢) وَالْوَرْدُ يَمْتَازُ بِالسِّيْمَا عَنِ السَّلَمِ

تُهْدِي إِلَيْكَ رِيَا حُ النَّصْرِ نَشْرُهُمْ

(١٣٣) فَتَحَسَبُ الزَّهْرَ فِي الْأَكْمَامِ كُلَّ كَمِي

كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الْخَيْلِ نَبْتُ رَبَا

(١٣٤) مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ لَا مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ

= أي لم تترك أسنة رماحهم طرف جسم من أجسام الكفار غير مزال عجمته ، بل أزال عجمته ، فالمراد بأقلامهم : أسنة رماحهم .

(١٣٢) قوله « شاكِي السِّلَاحِ » إلخ أي حاذيه ، وقوله « لَهُمْ سِيْمَا تُمَيِّزُهُمْ » أي

لهم علامة تميزهم عن غيرهم ، قال تعالى : ﴿ سِيْمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ

السُّجُودِ ﴾ [الفتح: ٢٩] ، وقوله « وَالْوَرْدُ يَمْتَازُ بِالسِّيْمَا عَنِ السَّلَمِ » : شجر من

العضاة ، فالورد والسلم وإن اشتركا في أن كلا شجرٌ مورق ذو شوك إلا أن

بينهما فرقا ظاهرا لكل ذي بصر ، وكذلك الصحابة وغيرهم ، فإنهما وإن

اشتركا في أن كلا ذو سلاح ، إلا أن بينهما فرقا ظاهرا لكل ذي بصيرة .

(١٣٣) قوله « تَهْدِي إِلَيْكَ » بمعنى ترسل ، والمراد بِرِيَا حُ النَّصْرِ الرياح التي

حصل بها النصر ، والمراد بِالنَّشْرِ الخبز السار ، وإن كان في الأصل

الرائحة الطيبة ، وَالزَّهْرُ : نَوْرُ الشَّجَرِ ، وَالْأَكْمَامُ جمع كم : وهو غلاف

النور ، وَالْكَمِي : الشجاع في سلاحه .

(١٣٤) قوله « كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الْخَيْلِ » إلخ أي كأن الصحابة حال كونهم

على ظهور الخيل نبت ربا في الاستقرار والثبوت . وَالرِّبَا جمع ربوة ،

وهي ما ارتفع من الأرض ، ونبتها يكون أثبت من غيره لطول عروقه

حتى يصل إلى الماء ، ويكون أحسن من غيره ؛ لأنه لا يستقر عليه الماء =

طَارَتْ قُلُوبُ الْعِدَا مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقًا

(١٣٥) فَمَا تَفَرَّقَ بَيْنَ الْبَهْمِ وَالْبَهْمِ

وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللَّهِ نُصْرَتُهُ

(١٣٦) إِنْ تَلَقَّه الْأُسْدُ فِي آجَامِهَا تَحِمُّ

وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِيِّ غَيْرِ مُنْتَصِرٍ

(١٣٧) بِهِ وَلَا مِنْ عَدُوٍّ غَيْرِ مُنْقَصِمٍ

= فيأخذ حظه من الشمس والرياح ، وقوله « من شدة الحزم » من قوة جودة رأيهم وتدبيرهم ، وقوله « لا من شدة الحزم » أي لا من ربط الحزم (جمع حزم) التي يربط بها السرج أو غيره على ظهر الدابة .
(١٣٥) قوله « طارت » بمعنى اضطربت ، وقوله « من بأسهم » أي من شدتهم وقوتهم في الحرب ، وقوله « فرقًا » أي فزعًا . وقوله « فما تفرق بين البهيم والبهيم » جمع بهيمة وهي السخلة ، وهي أولاد الضأن ، والبهيم بضم الباء الموحدة وفتح الهاء : الشجعان (في القاموس : البهيمة - بضم الباء - الشجاع الذي لا يهتدى من أين يؤتى) .

(١٣٦) قوله « ومن تكن برسول الله » ولا تكون النصرة برسول الله ﷺ إلا باتباع سنته ، وترك ما كان على خلاف شريعته ، وذلك هو تقوى الله ، والحامل عليها خوف الله ، ومن خاف الله خاف منه كل شيء ، حتى الأسد في آجامها ، الأسد : جمع أسد ، وهو الحيوان المعروف ، آجامها : جمع أجمة ، وهي الغابات ، تحم : بكسر الجيم بمعنى تسكت من هيئته .
(١٣٧) والمراد بالولي من آمن به ﷺ ، والعَدُوُّ ضده . وقوله « به » أي برسول الله ، والمنقصم : القصم بالقاف : القطع مع الإبانة .

أَحَلَّ أُمَّتَهُ فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ

(١٣٨) كَاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الْأَشْبَالِ فِي أَجَمٍ

كَمْ جَدَّلْتُ كَلِمَاتُ اللَّهِ مِنْ جَدَلٍ

(١٣٩) فِيهِ وَكَمْ خَصَمَ الْبُرْهَانَ مِنْ خَصَمٍ

كَفَاكَ بِالْعِلْمِ فِي الْأُمِّيِّ مُعْجَزَةً

(١٤٠) فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبِ فِي الْيَتَمِ

(١٣٨) قوله « **أحل أمته** » أي أنزلها ، لأنه أحل أمته إلخ . وقوله « **في حرز ملته** » :

أي في ملته الشبيهة بالحرز ، وإنما كانت ملته ﷺ شبيهة بالحرز ؛ لأنها تحفظ من اتباعها من نار الكفر . وقوله « **كالليث حل مع الأشبال في أجم** » أي فالنبي ﷺ حل مع أمته في ملته كالليث حل مع أشباله في الأجم ، والليث هو الأسد ، والأشبال هي أولاده ، والأجم جمع أجمة ، وهي الغابة أي الشجر المتن .

(١٣٩) كم بمعنى كثيراً ، و**جدلت** : أي قطعت وأزالت جداله ، و**كلمات**

الله : هي القرآن ، و**الجدل** أي في أمره ﷺ . وقوله « **وكم خصم**

البرهان من خصم » أي وكثيراً ما خصم البرهان ، الذي هو الدليل

القاطع **من خصم** بكسر الصاد ، وهو شديد الخصومة . وحاصل معنى

البيت : كثيراً ما أزال القرآن جدال المجادل في أمره ﷺ ، وكثيراً ما أزال

الدليل القاطع خصومة شديد الخصومة في أمره ﷺ ، والأول إشارة إلى

ما وقع في القرآن من جواب المعاندين السائلين له ﷺ ، والثاني إشارة

إلى ما وقع منه ﷺ من الآيات ، حين سأله آية على رسالته .

(١٤٠) قوله « **كفاك بالعلم** » أي كفاك العلم ، وقوله « **في الأمي** » أي في

النبي الأمي ، وهو الذي لا يقرأ ولا يكتب ، نسبة للأمم ، كأنه على الهيئة

التي نزل عليها من أمه . وقوله « **في الجاهلية** » أي الزمن الذي لا علم

فيه . وقوله « **والتأديب في اليتيم** » أي وكفاك بالتأديب في اليتيم معجزة =

خَدَمْتُهُ بِمَدِيحٍ أَسْتَقِيلُ بِهِ

(١٤١) ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَى فِي الشَّعْرِ وَالْخِدْمِ

إِذْ قَلْدَانِي مَا تُخْشَى عَوَاقِبُهُ

(١٤٢) كَأَنِّي بِهِمَا هَدْيٌ مِنَ النَّعْمِ

أَطَعْتُ عَيَّ الصَّبَا فِي الْحَالَتَيْنِ وَمَا

(١٤٣) حَصَلْتُ إِلَّا عَلَى الْآثَامِ وَالنَّدَمِ

فِيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ فِي تِجَارَتِهَا

(١٤٤) لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَسْمِ

= لأن شأن اليتيم ، وهو الصغير الذي لا أب له أن لا يكون فيه من الأدب ما يكون في غيره ؛ فإن الأب غالباً ما يهتم بتأديب ابنه ، ويسعى في تكميله باكتساب الصفات الحميدة ، بخلاف غير الأب ، وكان ﷺ مؤدّباً بأحسن الأخلاق ، على خلاف العادة في اليتيم .

(١٤١) أي خدَمْتُهُ ﷺ بما تقدم من المدح ، أطلب من الله أن يقللني بسبب هذا المديح ذنوب عمر مضى في الشعر مدحاً لأبناء الدنيا .

(١٤٢) قوله « إِذْ قَلْدَانِي » الضمير في قلداني للشعر والخدم . وقوله « مَا تُخْشَى عَوَاقِبُهُ » أي أثاماً تخشى عواقبها ، والمراد بعواقبها أنواع العذاب ، وقوله « كَأَنِّي بِهِمَا هَدْيٌ مِنَ النَّعْمِ » أي كأني بسبب الشعر والخدم هدي من النعم ، التي هي الإبل والبقر والغنم ، ومن شأن الهدي أن يُقلد بجعل شيء في عنقه ، من نعل ونحوه ؛ ليعلم أنه هدي .

(١٤٣) الغي : ضد الهدي ، وأضيف للصبا لأنه يدعى إليه ؛ فإنه زمن الجهل والبطالة ، قوله « فِي الْحَالَتَيْنِ » أي حالتي الشعر والخدم .

(١٤٤) قوله « لَمْ تَسْمِ » بفتح التاء وضم السين المهملة : أي ولم تتعرض لأخذ الدين بدل الدنيا ، وكان الناظم عنى نفسه فنادى عليها بالخسارة ، =

وَمَنْ يَبِيعْ أَجْلاً مِنْهُ بِعَاجِلِهِ

(١٤٥) يَبِينُ لَهُ الْغَبْنُ فِي يَبِيعِ وَفِي سَلَمٍ

إِنْ آتٍ ذَنْبًا فَمَا عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ

(١٤٦) مِنَ النَّبِيِّ وَلَا حَبْلِي بِمُنْصَرِمٍ

فَإِنْ لِي ذِمَّةٌ مِنْهُ بِتَسْمِيَّتِي

(١٤٧) مُحَمَّدًا وَهُوَ أَوْفَى الْخَلْقِ بِالذَّمِّ

= حيث اتبعت الشعر والخدم لأبناء الدنيا ، ولو صحبها التوفيق لتركته ذلك ، واشتغلت بالدين .

(١٤٥) المراد بالأجل الثواب الذي يكون في الآخرة المحققة الباقية ، وبالعاجل الذي يأخذه من الدنيا الذاهبة الفانية . والظاهر أن الضمير في « منه » راجع للدين في البيت قبله . وقوله « بين له الغبن » أي يظهر له الخداع ، وقوله « في بيع وفي سلم » ، السلم : السلف ، والمعنى : يظهر له الغبن في حالة البيع ، وفي السلف أيضاً .

(١٤٦) هذا البيت تأنيس للنفس وترج لها في رحمة الله تعالى . « آت » أصله أأت ، بهمزتين . وقوله « فما عهدي بمنتقض من النبي » أي فما إيماني بمنقطع عن النبي ؛ لأن الذنب لا ينقض الإيمان ، وقوله « ولا حبلي بمنصرم » أي ولا وصلي بمنقطع من النبي ﷺ .

(١٤٧) قوله « فإن لي ذمة » إلخ هذا البيت تعليل للبيت قبله . ووجه ذلك أن اختياره التسمية باسمه ﷺ دليل على محبته فيه ؛ فإنه لا يسمى بالاسم إلا من أحب مسماه ، وأما من يكرهه فلا يسمى به . وقوله « وهو أوفى الخلق بالذمم » أي وهو ﷺ أشدهم وفاءً بها ، فيقوم بحقها بأن يشفع لأهلها لعظم جاهه وعلو مكانته عند ربه . وفي كلام المصنف ترغيب في التسمية باسمه ﷺ .

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي أَخْذًا بِيَدِي

فَضْلًا ، وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّةَ الْقَدَمِ (١٤٨)

حَاشَاهُ أَنْ يَحْرِمَ الرَّاجِي مَكَارِمَهُ

أَوْ يُرْجِعَ الْجَارَ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمٍ (١٤٩)

وَمُنْذُ أَلْزَمْتُ أَفْكَارِي مَدَائِحَهُ

وَجَدْتُهُ لِحَلاصِي خَيْرَ مُلْتَزَمٍ (١٥٠)

(١٤٨) أي إن لم يكن ﷺ في يوم عَوْدِي إلى الله تعالى أَخْذًا بِيَدِي ، بأن يشفع لي ، حال كون ذلك فضلًا منه . لا لسابقة مني تقتضي ذلك ، فقل يا زلة القدم ، وهو كناية عن سوء الحال والوقوع في الشدة .

(١٤٩) حاشا هنا اسم بمعنى المحاشاة ، وهي التنزيه . وقوله « أن يحرم الراجي مكارمه » أي من أن يحرم النبي ﷺ الراجي منه مكارمه ، والمكارم : جمع مكرمة ، والمراد منها الشفاعة ، وقوله « أو يرجع الجار منه غير محترم » فالمعنى : وحاشاه من أن يرجع الجار منه أي المستجير به الداخل في جواره ، حال كونه غير محترم ، بل يرجع محترمًا بشفاعته ﷺ ، جعلنا الله من أهل شفاعته أجمعين .

(١٥٠) الأفكار : جمع فكر ، وهو حركة النفس في المعقولات ، والمدائح : جمع مديح ، وهو الثناء الحسن ، وإنما كان ﷺ خير ملتزم لخلاصه من الشدائد ؛ لأنه وَفَّى بَخَلاصِهِ مِنْهَا عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ وَأَتَمَّهَا ، وأشار المصنف بذلك إلى الداء الذي كان أصابه ، وهو داء الفالج (الشلل) والعياذ بالله تعالى منه ، وكان هو السبب في إنشاء هذه القصيدة ، فإنه لما أصيب به عملها فرأى النبي ﷺ في النوم ، ومسح بيده الكريمة عليه فعوفي .

وَلَنْ يَفُوتَ الْغِنَى مِنْهُ يَدًا تَرَبَّتْ

(١٥١) إِنَّ الْحَيَا يُنْبِتُ الْأَزْهَارَ فِي الْأَكْمِ

وَلَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِي اقْتَطَفْتُ

(١٥٢) يَدَا زَهِيرٍ بِمَا أَثْنَى عَلَى هَرَمٍ

يَا أَكْرَمَ الرُّسُلِ مَا لِي مِنْ أَلُوذٍ بِهِ

(١٥٣) سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْعَمَمِ

(١٥١) الغنى : اليسار ، والضمير في منه عائد على النبي ﷺ ، وتربت بكسر الراء : أي التصقت بالتراب ، لكونها مفتقرة افتقاراً حسيّاً ، بأن ضيعت ما كان فيها من الأموال ، أو معنوياً بأن ضيعت ما كان لها من الثواب ، لاقترافها المعاصي .
الحيا : المطر . ينبت الأزهار : جمع زهر . في الأكْم : بضمّتين جمع أكمة ، والأكمة هي الربوة ، أي المحل المرتفع من الأرض ، وهو قليل النبات لعدم استقرار الماء عليها لعلوها ، كذلك ينيل الغنى من ليس مظنة الغنى .

(١٥٢) لما كان قوله « ولن يفوت الغنى ... » إلخ يوهم التعريض بطلب شيء من حطام الدنيا ، دفع هذا التوهم بقوله « ولم أُرِدْ زهرة » إلخ أي وإنما أردت الغنى منه في الآخرة بالشفاعة في المذنبين . والمراد بزهرة الدنيا مستلذاتها من المال وغيره ، والمراد بزهير الشاعر المشهور وهو ابن أبي سلمى ، كان زهير من الشعراء المقدمين على سائر الشعراء في الجاهلية .
وقوله « بما أثنى على هرم » أي بالمدح الذي أثنى به زهير على هرم بن سنان ، وكان يصل زهيراً بالصلوات الجزيلة الخارجة عن العادة .

(١٥٣) قوله « ما لي من ألوذ به سواك » أي ليس لي أحد ألتجئ إليه غيرك . وقوله « عند حلول الحادث العمم » أي عند نزول الحادث العام ، أي الشامل لجميع الخلق ، والمراد يوم القيامة كلاً من الرسل يقول حينئذ : « نفسي نفسي » ، والنبي ﷺ يقول : « أمتي أمتي » .

وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللَّهِ جَاهُكَ بِي

(١٥٤) إِذَا الْكَرِيمُ تَحَلَّى بِاسْمِ مُنْتَقِمٍ

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا

(١٥٥) وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ

(١٥٤) **الجاه** : القدر والمنزلة ، وهو مأخوذ من الوجاهة ، وهي رفعة القدر وسعة المرتبة . وقوله **« بي »** أي عني . وقوله **« إذا الكريم تحلى باسم منتقم »** أي وقت كون المولى اتصف باسم هو « منتقم » ، واتصافه بذلك عند انتقامه بالفعل من العصاة ، وذلك الوقت هو يوم القيامة .
(١٥٥) هذا البيت تعليل للبيت قبله ، فكأنه قال : وإنما كان جاهك يا رسول الله لا يضيق بي بل يسعني وغيري من العصاة ؛ لأن من جودك الدنيا إلخ ، أي خيرَي الدنيا وضرتها التي هي الآخرة ؛ فمن خير الدنيا هدايته ﷺ للناس ، ومن خير الآخرة شفاعته ﷺ فيهم . قوله **« ومن علومك علم اللوح والقلم »** : المراد بعلومه ﷺ المعلومات التي أطلعه الله عليها ، والمراد **بعلم اللوح والقلم** : المعلومات التي كتبها القلم في اللوح بأمر الله تعالى فإنه ورد **« أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب ، قال : وما أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة »** ، واستشكل جعل علم اللوح والقلم بعض علومه ﷺ بأن من جملة علم اللوح والقلم الأمور الخمسة المذكورة في آخر سورة لقمان : **﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾** ، وأجيب بعدم تسليم أن هذه الأمور الخمسة مما كتب القلم في اللوح وإلا لاطلع عليها من شأنه أن يطلع على اللوح كـ بعض الملائكة المقربين ، وعلى تسليم أنها مما كتب القلم في اللوح ، فالمراد أن بعض علومه ﷺ علم اللوح والقلم الذي يطلع عليه المخلوق .

يَا نَفْسُ لَا تَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ

(١٥٦) إِنَّ الْكِبَائِرَ فِي الْغُفْرَانِ كَاللَّمَمِ

لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَقْسِمُهَا

(١٥٧) تَأْتِي عَلَى حَسَبِ الْعِصْيَانِ فِي الْقِسَمِ

يَا رَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ

(١٥٨) لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَرِمٍ

(١٥٦) أصل قوله « يا نفس : يا نفسي » ، وقوله « لا تقنطي » أي لا تيأسي ،

وقوله « من زلة عظمت » أي من أجل زلة كبرت ، والأصل : من غفران زلة

عظمت ، والزلة بفتح الزاي وتشديد اللام الذنب . وقوله « إن الكبائر في

الغفران كالللم » أي إن الذنوب العظام التي ارتكبتها أيتها النفس في جانب

الغفران ، أي بالنسبة له ، كصغار الذنوب . وفي قول الناظم ، رد على من

زعم أن الكبائر كالصغائر ، كالمعتزلة ، فإنهم يقولون بأن الكبائر لا تُغفر ، بل

مرتكبها يخلد في النار . والحق مذهب أهل السنة أن الكبائر كالصغائر في

الغفران ، وهو الموافق للقرآن^(١) وللجنة ، وللدليل العقلي .

(١٥٧) أي أرجو أن تكون رحمة ربي تأتي في القسم حين يقسمها بين

العصاة على قدر عصيانهم ؛ فمن حمل من العصيان حملاً صغيراً كان ما

يناله من الرحمة شيئاً صغيراً .

(١٥٨) قوله : « يارب » أصله يا ربي . وقوله « واجعل رجائي » أي اجعل

رجائي للرحمة غير منعكس : أي غير خائب ، وقوله « لديك » أي

عندك ، وقوله « اجعل حسابي غير منخرم » أي اجعل ما حسبه ، أي =

(١) كقوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » .

وَالطُّفُ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنَّ لَهُ

(١٥٩) صَبْرًا مَتَى تَدْعُهُ الْأَهْوَالُ يَنْهَزِمِ

وَأُذِّنْ لِسُحْبِ صَلَاةٍ مِنْكَ دَائِمَةٍ

(١٦٠) عَلَى النَّبِيِّ بِمُنْهَلٍ وَمُنْسَجِمِ

مَا رَنَحْتَ عَذَابَاتِ الْبَانِ رِيحُ صَبَاً

(١٦١) وَأَطْرَبَ الْعَيْسَ حَادِي الْعَيْسِ بِالنَّعَمِ

= ظننته من الجميل فيك ، غير ناقص ، وفي الحديث القدسي حكاية عن الله تعالى : « أنا عند ظن عبدي بي : إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر » .

(١٥٩) معنى **الطف** : ارفق ، وعنى **بالعبد** نفسه ، واختار الوصف بالعبودية لما فيها من غاية الذلة والخضوع . وقوله « **في الدارين** » أي داري الدنيا والآخرة ، ثم علل ذلك بقوله « **إن له صبراً** » أي إن لعبدك صبراً لا يثبت ، بل متى تدعه الأهوال ينهزم أمامها .

(١٦٠) **السحب** : جمع سحب الذي هو الغيم ، وإضافة سحب للصلاة من إضافة المشبه به للمشبه ، أي للصلاة الشبيهة بالسحب ، في أن كلا رحمة ، وقوله « **على النبي** » أي سيدنا محمد ﷺ ، وقوله « **بمنهل ومنسجم** » والتقدير بمطر منهل ، ومطر منسجم ، و**المنهل** : المنصب لشدته ، و**المنسجم** : السائل لعدم شدته .

(١٦١) قوله « ما رنحت عذابات البان » إلخ أي مدة ترنيح عذابات البان إلخ ، و**الترنيح** : التميل ، و**عذابات البان** : أغصانه ، و**البان** : شجر معروف طيب الرائحة . وقوله « **ريح صبا** » الريح الشرقية التي تهب صوب باب الكعبة ، وإنما سميت بذلك لأنها تصبو أي تميل إليها ، وأصول الرياح أربعة : الأولى : الصبا ، والثانية : الدبور ، وهي الريح الغربية ، والثالثة : الشمال ، بفتح الشين ، والرابعة : الجنوب بفتح الجيم ، وهي الريح القبلية ، =

قال الشيخ الباجوري - رحمه الله :

ويوجد في بعض النسخ أبيات لم يشرح عليها أحد من
الشارحين ، لكن لا بأس بها ، وهي :
ثُمَّ الرِّضَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعَنْ عُمَرَ
وَعَنْ عَلِيٍّ وَعَنْ عِثْمَانَ ذِي الْكِرَامِ
وَالْأَلِ وَالصَّحْبِ ثُمَّ التَّابِعِينَ فَهُمْ
أَهْلُ التَّقَى وَالنَّقَا وَالْحِلْمِ وَالْكَرَمِ
يَا رَبَّ بِالْمُصْطَفَى بَلَّغْ مَقاصِدَنَا
وَاغْفِرْ لَنَا مَا مَضَى يَا وَاسِعَ الْكَرَمِ
وَاغْفِرْ إِلَهِي لِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ بِمَا
يَتْلُونَ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى فِي الْحَرَمِ

= وقوله « **وَأَطْرَبَ الْعَيْسَ** » إلخ أي ومدة إطراب العيس إلخ . و **الإطراب**
إحداث الطرب ، وهو خفة تنشأ عن سرور . و **العيس** بكسر العين هي الإبل
بيض يخالطها شقرة أو حمرة شديدة ، وهي من كرام الإبل ، والمراد **بمحادي**
العيس سائقها ، وقوله « **بِالنَّغَمِ** » بفتح النون : الصوت الحسن .
وفي هذا البيت والذي قبله براعة الختام ، وتسمى حسن المقطع وحسن الخاتمة
، وهي في الشعر عبارة عن ختم القصيدة بأجود بيت يحسن السكوت عليه
لأنه آخر ما يبقى في الأسماع ، وربما حفظ دون غيره لقرب العهد به .

بجاء مَنْ يَتُّهُ فِي طَيْبَةِ حَرَمٍ

وَأَسْمُهُ قَسَمٌ مِنْ أَعْظَمِ الْقَسَمِ

وَهَذِهِ بُرْدَةُ الْمُخْتَارِ قَدْ خُتِمَتْ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِي بَدْءٍ وَفِي خَتَمٍ

أَبْيَاتُهَا قَدْ أَتَتْ سِتِينَ مَعَ مِائَةٍ

فَرَّجَ بِهَا كَرْبَنَا يَا وَاسِعَ الْكَرَمِ

